

مجموعة مقالات قيمة عن المولد النبوي ﷺ والاحتفال به

بمناسبة استقبال شهر ربيع الأول

جمع الفقير إلى الله تعالى / حمدي أحمد الطاهر

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، الحمد لله الذي خلق الأرض والسموات ، الحمدلله الذي علم العثرات ، فسترها على اهلها وانزل الرحمات ، ثم غفرها لهم ومحا السيئات، فله الحمد ملئ خزائن البركات ، وله الحمد ما تتابعت بالقلب النبضات ، وله الحمدماتعاقبت الخطوات ، وله الحمد عدد حبات الرمال في الفلوات ، وعدد ذرات الهواء في الأرض والسماوات ، وعدد الحركات والسكنات،

سبحانه سبحانه سبحانه

الطير سبحه والوحش مجده   والموج كبره والحوت ناجاه
والنمل تحت الصخور الصم قدسه   والنحل يهتف حمدآ في خلاياه
الناس يعصونه جهرآ فيسترهم   والعبد ينسى وربي ليس ينساه

يستقبل المسلمون في هذه الأيام شهر ربيع الأول، شهر مولد رسولنا محمد – صلى الله عليه وسلم سيد البشرية ، الذي أرسله ربه سبحانه وتعالى منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، فهو – صلى الله عليه وسلم – الجامع لمحاسن الأخلاق.

فما أكثر ما قاله – صلى الله عليه وسلم من توجيهات في حسن الخُلق والصدق والأمانة والإحسان والتمسك بالفضائل وتجنب الرذائل ،كل هذه المعاني السامية لو تمسَّكَ المسلمون بها لكانوا كما أرادهم الله سبحانه وتعالى خير أمة أخرجت للناس ، ورحم الله القائل:

من أراد النجاة غدًا   فلْيُطِعِ النبيَّ محمدا
إن شئتموا أن تسْلموا   يومَ الحساب وتَرْحموا
وتَكرَموا وتَنعَّموا   فلهدي أحمدَ فالزموا
وإذا سمعتم ذكره   صلوا عليه وسلموا

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أيها المسلمون :

لقد كان العرب قبل الإسلام أشتاتا متفرقين، لا تجمع بينهم عقيدة صحيحة ولا تؤلف بينهم حكمة جامعة ، تتقاسم سيادتهم دولتا الفرس والروم ،حيث تتحكمان في مصائرهم وتبتزان أموالهم، وتستنزفان دماءهم وتضربان بعضهم ببعض، هكذا كانت الدنيا قبل بعثته– صلى الله عليه وسلم– قد شملتها الحيرة والبؤس،كما قال الشاعر :

أتيت والنـــاس فوضى لا تمرُ بهــم إلا عـــلى صــــنمٍ قد هام في صنـم
فعاهلُ الرومِ يطـــغى في رعيته وعاهلُ الفرسِ من كبرٍ أصمّ عــــم

لقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى ببعثة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – ، كما في قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} .

ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد أكرم نبينا – صلى الله عليه وسلم ـ بأن جعل رسالته رحمة للعالمين كما في قوله تعالى :{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } ،فرسولنا ـصلى الله عليه وسلم بُعث إلى الناس كافة ، كما في قوله تعالى : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } .

كما أنه– صلى الله عليه وسلم – خاتم النبيين ، لقوله تعالى:{ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} .

وقد أعطاه الله سبحانه وتعالى سبعًا من المثانى والقرآن العظيم ، كما في قوله تعالى : {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} .

كما أعطاه سبحانه وتعالى الكوثر ،كما في قوله تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} .

وأعطاه الله الشفاعة العظمى والمقام المحمود ، كما في قوله تعالى : { عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا} .

بل وأعطاه الله تعالى حتى يرضى، قال الله تعالى:{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى} ، وأقسم سبحانه وتعالى بحياته – صلى الله عليه وسلم – ولم يُقسم بأحدٍ من البشر ، قال تعالى : {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} .

كما و جعل سبحانه وتعالى طاعته – صلى الله عليه وسلم – من طاعته فقال سبحانه وتعالى : {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} .

هذا هو الإسلام ، وهذا هو نبينا – صلى الله عليه وسلم – الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، فعلينا أن نسير على هديه، ونتبع منهجه، حتى نكون من السعداء في الدنيا والآخرة.

وإليكم / مجموعة المقالات أسأل الله تعالى أن ينفنا جميعا بها



فضيلة الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

بقلم/ د. محمود أحمد الزين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي من على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وذلك من نعمه العظمى التي تستوجب أن يشكروه عليها وقد حثهم على الشكر في مواضع من كتابه كثيرة فقال سبحانه : " واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون " البقرة (١٧٢) وصلى الله وسلم على من بين في سنته فضل المجالس التي يجتمع المسلمون فيها على ذكر الله وشكره وذلك فيما رواه مسلم برقم (٢٧٠١) عن معاوية رضي الله عنه وفيه " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا جلسنا نذكر الله و نحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا " ثم قال صلى الله عليه وسلم : " أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة ".

والمولد ما هو إلا صورة من مجالس الشكر على ما من الله به من إيجاد رسوله وبعثته صلى الله عليه وسلم لهدايتنا سواء قارناه بما ذكر في الحديث المتقدم أو نظرنا في الأدلة الأخرى المؤيدة له تفصيلاً و وقد أفتى جماعة من أئمة المسلمين باستحباب عمل المولد كالحافظ ابن حجر والسيوطي وقبلهما وبعدهما كثيرون ، وهؤلاء أئمة مقتدىً بهم من أكابر أهل الحديث ولا سيما ابن حجر الملقب أمير المؤمنين في الحديث .

ولو افترضنا أن الأئمة الذين استحبوا عمل المولد قد أخطؤوا في اجتهادهم وفهمهم للأدلة فلا يجوز أن يقال إنهم مبتدعة ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر " ؛ ولا يمكن أن يعطيه أجرا وهو يبتدع بل البدعة في النار .

وكذلك لا يجوز أن يقال لمن اتبعهم ممن لا يستطيع الاجتهاد في فهم الأدلة لأنهم بأمر الله اتبعوهم إذ قال سبحانه : " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون " النحل (٤٣) .

وسؤالهم قد يكون عن الدليل لمن لا يعلمه وعن فهم الدليل وإن كان يعلمه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يعلم الحديث ولا يفقهه : " رب حامل فقه ليس بفقيه " لا سيما إذا كان أميا فلا بد أن يتبع فهم العلماء .

ولو نظر منكِر المولد إلى المسألة باعتدال لما أنكره وإن لم يقتنع بأدلة أولئك الأئمة واقتنع بقول مخالفيهم ، فلو كان كل من أخطأ فهم الدليل من العلماء مبتدعا لوجب أن يقال إن بعض الصحابة مبتدعة ـ وحاشاهم ـ وذلك أنهم اختلفوا في فهم الأدلة حتى كان بعضهم يقول حسب اجتهاده : هذا حرام ويقول الآخر للشيء نفسه هذا حلال ولا شك في علمهم وإخلاصهم .

والحديث السابق يعطي العذر لكل مجتهد عنده أهلية النظر في أدلة الشريعة وعنده العلوم التي يعتمد عليها في فهم الأدلة ، فمن لم يعذرهم فهو معاند لكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عذر أعظم من أن يعطيهم الله الأجر وهم مخطئون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

(عمل المولد مستحب شرعاً)

من تأمل الأدلة وجد أن المولد سنة مستحبة بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب قواعد فقه الحديث التي بينها الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه .

وقد عمل بها المسلمون أكثر من قرن قبل ابن تيمية دون إنكار فهذا كالإجماع إن لم يكن إجماعا حقيقة وذلك من عهد الملك المظفر نقل السيوطي عن ابن كثير في البداية والنهاية طبع دار أبي حيان ١٣ / ١٨١ : كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول و يحتفل به احتفالا هائلا، وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا رحمه الله وأكرم مثواه.

قال: وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب ابن دحية مجلدا في المولد النبوي سماه (التنوير في مولد البشير النذير) فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدته في الملك إلى أن مات وهو محاصر للفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة.

شبهة المنكرين للمولد :

وأول كلمة يبدأ بها منكروا المولد أنهم يقولون : لم يعمله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة فهو بدعة ضلالة لأن كل محدثة بدعة كما جاء في الحديث .

وهذه مغالطة لأن قائلها يحصر السنة فيما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويترك قول النبي صلى الله عليه وسلم ـ وهو أقوى أقسام السنة في بيان الأحكام ـ ويترك إقرار النبي صلى الله عليه وسلم ، ويترك ما يستنبط منها ويترك كل أدلة الشريعة الأخرى

رد هذه الشبهة :

وقد كتب جماعة من أئمة الحديث رسائل في أن عمل المولد مستحب دلت عليه أقوال النبي صلى الله عليه وسلم كالحافظ ابن حجر العسقلاني والسيوطي وغيرهما الكثير .

وحتى لو لم ينظر المرء إلى مرور أكثر من قرن على عمل المولد دون إنكار من أي واحد من العلماء ـ وهذا إجماع أو قريب من الإجماع ـ فإن وقوع الخلاف بين العلماء الموثوقين عند الأمة يكفي أن يرفع تهمة الابتداع عن العلماء الذين يستحبون عمل المولد ولو افترضنا أنهم مخطئون في فهم الأدلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه البخاري برقم (٦٩١٩) ومسلم برقم (١٧١٦) : " إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر " ولا يمكن أن يعطيه الله الأجر وهو يبتدع لأن " كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار " رواه النسائي برقم ١٥٧٦ ومسلم برقم ٢٠٠٢بدون لفظ وكل ضلالة في النار) ولو كان المخطئ في اجتهاده مبتدعا لكان كثير من الصحابة مبتدعين لأنهم اختلفوا في اجتهادهم ولا يمكن أن يكونوا جميعا مصيبين بل لا بد أن يكون أحد الطرفين مخطئا .

وإذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم أو ترك أصحابه عملا ـ مع وجود قول للنبي صلى الله عليه وسلم يدل على مشروعية ذلك العمل ـ فهذا القول يكفي في إثبات المشروعية فلا يجوز أن يقال لمن عمل ذلك العمل إنه مبتدع ومن قال إنه مبتدع فقد رفض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم الترك على القول مع أن الاستدلال بالقول أقوى عند العلماء ولا يجوز إهماله في مقابل الترك ومن زعم أن الترك مع قيام المقتضي وعدم المانع دال على التحريم فهذا عند عدم وجود القول الدال على المشروعية لأن القول أقوى فيجب تقديمه .

ومثال ذلك سنة المغرب القبلية قال النبي صلى الله عليه وسلم عنها فيما رواه البخاري برقم (١١١٨) عن عبد الله بن المغفل رضي الله عنه : " صَلُّوا قَبْلَ صَلَاةِ المَغْرِبِ ركعتين ، قَالَ فِي الثَّالِثَةِ لِمَنْ شَاءَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتَّخِذَهَا النَّاسُ سُنَّةً "

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يفعلونها كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه " وَكُنَّا نُصَلِّي عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ صَلَاةِ المَغْرِبِ " ، فَقُلْتُ لَهُ : " أَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّاهُمَا ؟ " قَالَ : " كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا " .مسلم برقم (٣٠٢) ولم يثبت حديث صحيح ولا حسن أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى هاتين الركعتين،والأمثلة أكثر من ذلك ذكرت بعضها في رسالتي " البيان النبوي عن فضل الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم "

ما هو موضع الإشكال في المولد ؟؟

إن الأعمال التي يعملها الناس في المولد كلها مشروعة وهي الاجتماع على ذكر الله وشكره على نعمة وجود رسول الله صلى الله عليه وسلم في عالم الدنيا .

ـ ومن قال عن عمل منها إنه غير مشروع يقال له : أثبت أنه غير مشروع فنتركه ، ولكن ماذا تقول في الأعمال المشروعة باتفاق كالاجتماع على تلاوة القرآن ؟ وسأعود إلى تفصيل هذا إن شاء الله .

يقول منكروا المولد العارفون بالأدلة : " إن هذا العمل هو تخصيص وقت لهذه العبادة المشروعة وتعيين الأوقات للعبادات مسألة شرعية فلا يجوز إلا بدليل شرعي " .

وهذا هو لب المسألة وموضع الخلاف الأساسي فيها وغيره تبع له ، وقد أجاب العلماء الذين استحبوا عمل المولد عن هذا الكلام كما يأتي إن شاء الله .

خلاصة الجواب في تخصيص وقت لعمل المولد :

أن العلماء الذين استحبوا عمل المولد استدلوا بحديث صوم عاشوراء وهو من الأحاديث القولية ، وكانت طريقتهم في ذلك هي ما يسمى "القياس الأولوي" كقول العلماء إن الله حرم التأفف في خطاب الوالدين بقوله " ولا تقل لهما أف " والآية تدل على تحريم ضربهما بطريق الأولى .

الاستدلال بطريق الأولى قال عنه ابن تيمية (إن تركه من بدع الظاهرية التي لم يسبقهم بها أحد من السلف) كما في كتابه الفتاوى ١٢ / ٢٠٧ .

وقال في الفتاوى أيضا ١٢/ ٣٤٩ :(الطريقة النبوية السلفية أن يستعمل في العلوم الإلهية قياس الأولى)

وقد استدل الحافظ ابن حجر العسقلاني بهذا الحديث على الوجه التالي ، وهو :(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ قالوا : هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن أحق بموسى منكم) رواه البخاري برقم (٣٢١٦) ومسلم برقم (١١٣٠ مكرر)

فقال ابن حجر ـ كما نقل عنه السيوطي في كتاب الحاوي ١ / ٣٠٢ : (فيستفاد منه فعل الشكر لله على من به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر يحصل بأنواع العبادة .... وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز ـ أي ظهور ـ هذا النبي نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم) .

يعني هو أولى بأن نصومه من يوم عاشوراء لأن النعمة فيه أعظم، والشكر يحصل بأنواع العبادات لا بالصوم وحده كإطعام الطعام والصدقات وذكر الله تعالى وتلاوة القرآن الكريم وغير ذلك .

ومثل الكلام في المولد يقال في يوم الهجرة هذا يوم نجى الله فيه نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وخيب الكافرين ، فقد نصره الله وأيده بجنود من عنده وجعل كلمة الذين كفروا السفلى فصيامه شكرا لله أحق من صيام عاشوراء لأنه نبينا خاصة ولأنه أفضل من موسى عليه السلام .
وهذا واضح أتم الوضوح مع أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم لم يفعلوه .

دليل مشروعية الشكر بالعبادات الأخرى :

وكلام ابن حجر هذا ـ أي قوله " والشكر يحصل بأنواع العبادات " مبني على قاعدة أخرى فالحديث ذكر الصيام ولكن بين سبب فعله وهو قصد شكر الله به ورسول الله صلى الله عليه وسلم أقر على الصيام وعلى القصد وإذا كان القصد والسبب مشروعا مستحبا فكل عمل يتحقق به هذا القصد هو مشروع مستحب ، وذلك من قواعد أصول الفقه مذكور في كتاب " المسودة " لآل تيمية : ابن تيمية وأبيه وجده (الحكم المتعدي إلى الفرع بعلة منصوص عليها مراد بالنص) كذا في المسودة ٢ / ٧٣٦ الطبعة الثانية .
وتوضيح هذه القاعدة هو أنه إذا ذكر الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم عملا ، وذكر له حكما ، وذكر للحكم علة ، أي سببا ، فعدينا ذلك الحكم أي نقلناه إلى عمل آخر ، بواسطة هذه العلة والسبب فهذا الحكم الثاني قد أراده الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كأنه جاء في القرآن أو الحديث ملفوظا به .
وإذا نظرنا إلى المثال المذكور وهو حكم عمل المولد نقول :
أ ـ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر صيام عاشوراء
ب ـ وذكر حكمه وهو الأمر بصيامه جـ ـ وذكر علة ذلك أي سببه وهو الشكر على النجاة
د ـ فننقل حكم الصيام إلى الأعمال الصالحة الأخرى بواسطة العلة والسبب فنقول : هذا الطلب النبوي للصيام شكرا مراد به طلب كل عمل صالح يؤدى شكرا لله تعالى كأنه مذكور في الحديث بلفظه ، وما دام مرادا بالنص أي بلفظ الحديث فهو ليس قياسا، وهذا مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، لكن جمهور العلماء يقولون : إنه قياس ولكنه قياس قوي لأنه قد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بعلته وسببه .

ثناء النبي صلى الله عليه وسلم على اجتماعات شكر الله :

وعمل المولد هو صورة من صور شكر الله تعالى على الهداية للإسلام لأن إيجاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمة وبركة على هذه الأمة ـ وإن بركته للأمة من وجوه كثيرة ـ ووصفه الأول ما جاء في قول الله تعالى : " وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم " الشورى ٥٢ ومن وجوه بركته وجود ذاته الشريفة بين الناس فقد قال الله تعالى عن المشركين " وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم " الأنفال ٣٣ .
وقد جاء في السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم أثنى على الذين اجتمعوا لذلك في صحيح مسلم برقم (٢٧٠١) عن معاوية رضي الله عنه وفيه قال : " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا ، قال : آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : ما أجلسنا إلا ذلك قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة " رواه مسلم برقم (٢٧٠١) .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر مع كلامه السابق بعض العبادات التي تؤدى شكرا لله كما في الحاوي ١/ ٣٠٢ (التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية)

نقض شبهة من ينكر المديح :

ويلاحظ أنه ذكر مع العبادات " المدائح النبوية " ومنكروا المولد يزعمون أنها غير مستحبة وأنها منهي عنها في قوله صلى الله عليه وسلم : " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم " رواه البخاري برقم (٣٢٦١) وهو استدلال مخالف للحديث .

- لأنه إن كان معنى الإطراء المدح مطلقا فالحديث خص النهي بما فعلته النصارى وهو قولهم إنه ابن الله و نحو ذلك .

- وإن كان الإطراء هو المدح بالباطل فالمدح بحق غير منهي عنه ومدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من جملة الثناء على من أحسن إلينا أو كان سببا لنفعنا ففي سنن أبي داوود (٤٧٧٩) - ورجاله رجال الصحيحين - أن المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله ، قال : لا ما دعوتم لهم وأثنيتم عليهم " أبو داود في سننه برقم (٤٧٧٩) والثناء هو المديح بعمل الخير .

مشروعية الأناشيد وضرب الدف في المولد:

وأما الأعمال المباحة كالأناشيد وضرب الدف في المولد فقال ابن حجر رحمه الله كما نقل السيوطي في الحاوي ١ / ٣٠٢ : (وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم منه الشكر لله تعالى ... من التلاوة و الإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية ... وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال : ما كان من ذلك مباحا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم فلا بأس بإلحاقه ، وما كان محرما أو مكروها فيمنع)

وقد جاء في ضرب الدف حديث رواه الإمام أحمد برقم ٢٢٩٨٩ : " أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف قال : أوفِ بنذرك"رواه الترمذي برقم (٣٦٩٠) وحسنه وابن حبان في صحيحه برقم (٤٣٨٦) وأبو داوود برقم (٣٣١٢) .

قال الإمام الخطابي في كتابه معالم السنن ٤/ ٣٨٢ : (ضرب الدف لا يعد في باب الطاعات التي تتعلق بها النذور وأحسن حاله أن يكون من باب المباح غير أنه لما اتصل بإظهار الفرح بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم .... صار فعله كبعض القرب التي هي من نوافل الطاعات) وكذا استنشاده صلى الله عليه وسلم الشعر عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهما

خاتمة :

وأخيرا فإن عمل المولد ما هو إلا صورة من مجالس ذكر الله وشكره على ما من به علينا من الهداية برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأهل هذه المجالس :" إن الله يباهي بكم الملائكة "

والفرح برسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لأمر الله تعالى في قوله :" قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا " (يونس ٥٨) .

وتكريره كل عام في ربيع الأول كتكرير صوم عاشوراء كما بينه الأئمة الذين سبق ذكرهم نسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا للعمل بطاعته واجتناب مخالفته وأن يجنبنا الاختلاف والخصام في ذلك "ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين"
والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

==

كيف نحتفي بمولد رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ولا نخجل؟!

د محمد سعيد رمضان البوطي:

ها هو ذا شهر ربيع الأول قد أطل، وأقبل على العالم الإسلامي، وهاهم أولاء المسلمون شعوبا وحكومات يتهيؤون لاستقبال ذكرى مولد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يستقبلونها في كل عام بالحفلات وبالخطابات وبالقصائد وبالكلمات الضخمة الرنانة، يستخدمون في ذلك وسائل الإعلام على اختلافها، وإني لأتساءل ـ أيها الإخوة ـ ما موقع هذا كله، وهذه هي حالنا التي تعرفون؟ ما موقع ذلك كله من سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ هل يزيدنا هذا قربا إليه؟ أم هل يزيدنا هذا قربا إلى الله سبحانه وتعالى؟ أنا عندما أتأمل في واقعنا السلوكي؟وأقارن هذا الواقع السلوكي بهذه التجملات اللسانية التي تتكرر تكررا موسميا في كل عام في مثل هذا الشهر؛ أشعر بأن هذا الشأن الذي يقبل إليه المسلمون يزيدهم بعدا عن الله، ومن المفترض أن يزيدهم خجلاً من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، تركنا المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد وضع بين أيدينا قائمة من الوصايا والأوامر والنواهي، وأكد لنا أننا إذا اتبعنا هذه الوصايا ائتمرنا بما طلب، وانتهينا عما حذر، أكد لنا أن الله سبحانه وتعالى لن يتخلى عن هذه الأمة لا في شيء من مصالحها الدنيوية، ولا في شيء مما وعدها به في سعادتها الأخروية، فلما رحل المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخلف من بعد ذلك الرعيل الأول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع، خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، خلف من بعدهم هذا الخلف الذي يملأ اليوم رحاب الأرض، شطبوا على كل ماقد أوصى به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأعرضوا عن كل ما قد أمر به، واستهانوا بكل ما قد نهى عنه، قال لنا عليه الصلاة والسلام: ((ألا ليُذادنّ رجال عن حوضي كما يُذادُ البعير الضال)) أي ليطردن رجال عن حوضي. ((فأقول اللهم اللهم فيقال: إنك لا تدري كم بدلوا من بعدك فأقول فسحقا فسحقا فسحقا)).

وها نحن نتباهى اليوم بالتبديل، نتباهى بالتغيير والتطوير، وكلنا نصغي إلى هذا الذي يحذرنا منه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، قال لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((إنكم ستلقون أثرة من بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)) فعمدنا إلى هذه الوصية ونكسناها، استأثرنا بدلاً من أن نؤثر، هرعنا إلى مصالحنا الدنيوية، وجعلنا أوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه ضحية لهذه المصالح التي استأثرنا أنفسنا بها، عكسنا ما أوصانا به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

مرّ عليه الصلاة والسلام كما يروي مسلم في صحيحه ومعه ثلة من أصحابه بجدي ميت، فأمسك

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأذنه وقال: ((من يشتري مني هذا بدرهم؟)) فقالوا له: يارسول الله! ما نحب أنه لنا بشيء، وماذا نصنع به؟ قال: ((للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)) ومع ذلك فقد وضعنا هذه الدنيا في مكان الحب الأول من أفئدتنا، وهرعنا وأخذنا نتسابق إلى هذه الدنيا العفنة التي تحدث عنها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذا الذي قال. جعلنا من دنيانا التي نحلم بها، والتي نحلم بالمزيد ثم المزيد منها، جعلنا منها ديننا الذي نقف حياتنا كلها من أجله، وأعرضنا إعراض المستهين بهذا الذي قاله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، قال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((لو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانيا، ولو كان له واديان لابتغى إليه ثالثا، ولايملأ جوف ابن آدم إلا التراب)) أي لن يبين له حقيقة الدنيا وتفاهتها إلا الموت عندما يحيق به. أسلوب رائع بليغ، يحاول المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ به أن ينتشل حب الدنيا من قلوبنا، ولكنا أقبلنا إلى هذا الذي حذرنا رسول الله من حبه، وأعرضنا عما أمرنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحبه، ألا ترون كيف نلهث وراء الدنيا؟ وكيف نقتحم السبل إليها؟ بحلالها وحرامها وكل أنواعها.

قال لنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين)) وفي رواية صحيحة: ((ونفسه التي بين جنبيه)) أقبلنا بعد أن سمعنا كلام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هذا؛ فجعلنا أفئدتنا أوعية لمحبة كل شيء إلا محبة رسول الله، جعلنا أفئدتنا أوعية لمحبة سائر ما تتصورون من الشهوات، من الأهواء، من الزعامة، من الرئاسة، من الدنيا بكل معانيها، إلا أن تكون هذه الأفئدة أوعية لحب رسول الله، لحب الله سبحانه وتعالى. ثم جئنا نتسابق في مثل هذه المناسبة الموسمية ـ كما قلت ـ إلى الخطابات، إلى المديح الذي ندبجه لرسول الله صلى الله وعلى آله وسلم، إلى القصائد الرنانة التي سمعتم الكثير منها، وربما ستسمعون المزيد.

هذا الواقع المخزي الذي تلبسنا به من الفرق إلى القدم، إلى جانب هذه الدعاوي الكلامية، ما موقف رسول الله منها أيها الإخوة؟ كنت الساعة أتأمل: هل من الأولى أن نتحدى الحقائق، وأن نتجاهل الذوق، وأن نتجاهل الخلق، فنقتحم بهذه الاحتفالات دعاوينا هذه، متجاهلين موقف رسول الله منا. هل هذا هو الأولى؟ أم الأولى بنا أن نصمت صمت الإنسان الخجول على أقل تقدير؟ أم الأولى بنا أن نصمت صمت الإنسان الذي علم أنه تلبس بالجرم، ثم تلبس به ثانية، ثم تلبس به ثالثة، ولم يستطع أن يمتلك شخصية يتحرر بها من جريمته تجاه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ الأحرى به إذا أن يحتجب عن المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وأن يحجب عنه خزيه، أولى به إذا أن يلتجئ إلى الصمت، أولى به إذا أن يذرف ويذرف الدموع بسبب هذا الوضع الذي أقحم نفسه فيه، كيف كيف أقبل بعد هذا كله إقبال الإنسان الوقح الجريء ليمدح المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟

ألا أتخيل أن المصطفى سيقول لي: أين هذا المديح الذي تكيله لي جذافا من الوصايا التي أوصيتك بها؟ قلت لك: ((لقد تركتكم على بيضاء نقية ظاهرها كباطنها لايزيغ عنها إلا هالك)) لماذا زغتم عنها؟ لماذا ابتعدتم عنها؟ لماذا سال لعابكم على ما لدى الآخرين؟ لماذا؟ لقد أريتكم من نفسي نموذج الصبر، نموذج الضنا، نموذج الصبر على البأساء جوعا، غربة عن الوطن، فقرا. ورسول الله أجلّ من أن يتصف بالفقر الجبري، إذا ضربت لكم في ذلك كله مثلا في شخصي، فأين الذين اقتدوا بي في شيء من ذلك؟ أين؟ قلت: ((لو علم المسلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما)) أي إلى المساجد ((ولو حبوا)) وهذا مما اتفق عليه الشيخان، فإذا أنتم معرضون عن وصاياي، إذا أقبل المساء انتجعتم نزهاتكم

ومقاصفكم وأماكن سهراتكم، وبقيت المساجد التي تدعوكم إلى تنفيذ وصايا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فارغة إلا من ثلة وحفنات من الناس الملتزمين المؤمنين، أما إذا حان وقت الفجر وتفتحت المساجد تستقبل الذين يهرعون إلى تنفيذ وصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نظرت وإذا بهذه المساجد تبكي بكاء الثكلى، فارغة إلا من قلة من الشباب الذين آثروا أن يثيروا على شهوات الدنيا بأقدامهم، وأن يتأملوا الخير من مولاهم وخالقهم، وبقية من الفئات الأخرى، أما عِلِيَة القوم، أما السواد الأعظم، فبعيدون بعيدون عن وصية رسول الله. وكم فكرت أيها الإخوة في هذه الكلمة ((لأتوهما ولو حبوا)) وعندما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت الطرقات إلى المساجد غير معبدة، وكان الوحل هو الذي يملؤها، ومع ذلك فقد كان الناس كلهم يتسابقون إلى المساجد تنفيذا لوصية رسول الله. أما اليوم فالطرق معبدة، والأنوار مضيئة، والسبل ميسرة، والمساجد كثيرة، ولكن الكسل هو الذي ران علينا.

ومحور هذا كله أن أفئدتنا فرغت من حب رسول الله، أنا أشعر بالخجل ـ أيها الإخوة ـ عندما أدعى لأتكلم في مثل هذه المناسبة باسم هذه الأمة، أشعر بالخجل الكبير من رسول الله كيف أثني عليه وأنا أنظر إلى فؤادي وأفئدة الآخرين، كيف أصبحت أوعية للدنيا، كيف أهز الرأس طربا برسول الله، وأنا أعلم أنني كاذب فيما أقول، أنا أشعر أن الصمت أولى بي، أنا أرى أن الصمت أبلغ في مثل هذه الحال، وفي مثل هذه المناسبة، عندما أقارن بين واقع ذلك الرعيل الأول أصحابِ رسول الله، ثم من جاء بعدهم، ثم من جاء بعدهم، ثم من سار على نهجهم. عندما أقارن حالهم بنا نحن، أشعر أن الموت خير لنا، وبأن علينا أن نلطم وجهنا خزيا وعارا.

عمر بن الخطاب عندما يخرج إلى بلاد الشام ليلقى أباطرتها وزعماءها يصر على أن يذهب بثوبه المرقع الذي لم يكن يفضل عليه أي ثوب آخر، وعندما عاتبه أبو عبيدة عتابا رقيقا، إذ إن زعماء وأباطرة الشام سيستقبلونه؛ تألم عمر لعتاب أبي عبيدة وقال: (أوه ياأبا عبيدة! لو غيرك قالها! نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما طلبنا العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله). هذا هو منطق الوفاء، هذا هو منطق الوفاء مع الله، هل فكرتم في هذا الكلام؟ هل فكرتم في تحليل هذا الكلام العجيب الذي يدل على أعلى درجات الوفاء؟ وكان أولى بنا هذا التاج الذي توج الله به هذا الرعيل من عرب الجزيرة العربية، لم ينسجه مال اكتسبوه، لم تنسجه لهم حضارة متميزة ابتدعوها، لم تنسجه لهم قوة تغلبوا بها، كل هذا لم يكن موجودا، ما الذي نسج لهم ذلك التاج؟ الله. عندما التزموا بأوامره، عندما صدقوا ما عاهدوا الله عز وجل عليه، أرأيتم لو أن هؤلاء وقد استغنوا بالإسلام بعد فقر، وقووا بعد ضعف بالإسلام، وتغلبوا بعد مهانة، واتحدوا بعد تفرق، وكل ذلك بالإسلام، أرأيت لو أنهم سكروا بهذه المزايا فركلوا الذي أعطاهم كل هذا، وسكروا بمظاهر هذه القوة وهذا الغنى وهذه الحضارة كلها، كيف يكون حالهم آنذاك؟ يكونوا قد ضربوا المثل الأدنى للؤم وللخيانة مع الله سبحانه وتعالى. أكذلك أم لا؟ خلف من بعدهم خلف.

نحن رأينا العز الذي أكرمنا الله عز وجل به، رأينا أن العالم كله يتحدث عن تاريخ الحضارة العربية ـ كما يقولون ـ ورأينا أن الغرب ينظر إلى انتصار الجزيرة العربية على الحضارات المتألقة آنذاك كلها؛ ينظر على أن لغز استعصى على الحل إلى هذا الوقت، عرفنا هذا كله، وعرفنا أن الذي نسج هذا العز لهذه الحفنة، وأن الذي نصرها وجعلها تتكاثر وتتكاثر ثم تهيمن على معظم العالم من

شرقه إلى غربه وشماله إلى جنوبه هو الإسلام. عرفنا هذا، ماذا صنعنا؟ لما وجدنا هذا التاريخ الأغر، ولما وجدنا هذا التاج؛ الذي يتألق على رأس هذه الأمة، تذكرنا التاج وسكرنا به، ونسينا اليد التي وضعت فوق رؤوسنا هذا التاج. انظروا إلى هذه الأمة اليوم، كم تتباهى بتاريخ أمجادها، كم، ولكنها بمقدار ما تتباهى بتاريخ أمجادها؛ تتناسى بقصد السبب الذي توجها بهذا التاج. فانظروا إلى فرق ما بين الوفاء الذي يتمثل في كلمة (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما طلبنا العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله) وإلى اللؤم الذي آل إليه حالنا عندما سكرنا بهذا الذي أهداه إلينا الإسلام، ثم ركلنا بأقدامنا الإسلام ذاته، أجل ركلنا، وأنا أتحدث عن الكثرة الكاثرة، وأنا أتحدث عن الواقع العام الذي تشاهدونه في عالمنا العربي والإسلامي، ولكني أعلم أن هنالك قلة ستظل خميرة الدين والإيمان إلى أن تقوم الساعة ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق)) طائفة ((لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون)) انظر تجد كثيرا منهم هناك أمام مثوى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ انظر إلى الباكين، انظر إلى الذين يذوبون خجلاً من رسول الله هناك، انظر إلى الصالحين من عباد الله، انظر إلى أولئك الذين يقفون صامتين صمت الحياء، صمت الأسى، صمت الكرب الخانق أمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

أنا لاأدري أيها الإخوة هل سيهلكنا الله عز وجل بهذا اللؤم الذي آل إليه حالنا بسبب تجاهلنا لليد التي توّجتنا بهذا الإسلام؛ فأصبحنا نتساهل فيه كل التساهل. إذا رأينا من يتناوله بالكلمات القذرة قلنا: هي حرية رأي. وإذا رأينا من يحاول أن يتلاعب بالقرآن كما يتلاعب لاعبو كرة القدم بالكرة فيما بينهم، قالوا: هي قراءة جديدة. وإذا رأينا من يدعو إلى تطوير الإسلام وتغييره، قلنا: كل شيء يحتاج إلى تطوير وإلى تغيير. ترى هل سيهلكنا الله بهذا الذي ينتشر فيما بيننا ثم لا نجد يدا تضرب على هؤلاء الذين يعبثون هذا العبث؟ أم إن الله سيرحمنا بالقلة الموجودة في كل بلدة التي لا تزال على العهد؟ أنا أرجو أن يكون الأمل هو المتغلب، وأسأل الله سبحانه وتعالى الصفح عن زلاتنا، وأسأله عز وجل أن يهدينا وأن يجعل دعاوينا في مثل هذه المناسبات الموسمية التي تمر بنا مطابقة لأقوالنا.

==

ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم الزمان والموعد

الأستاذ الدكتور: علي جمعة

ولد الحبيب المصطفى يوم الاثنين بلا خلاف، والأكثرون على أنه لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل، وكانت ولادته في دار أبي طالب بشعب بني هاشم بمكة.
قال أحمد شوقي في مولده صلى الله عليه وآله وسلم:

ولد الهدى فالكائنات ضياء ... وفم الزمان تبسم وثناء
الروح والملأ الملائك حوله ... للدين والدنيا به بشراء
بك بشر الله السماء فزينت ... وتضوعت مسكا بك الغبراء
يوم يتيه على الزمان صباحه ... ومساؤه بمحمد وضاء
ذعرت عروش الظالمين فزلزلت ... وعلت على تيجانهم أصداء

ولد رسول الله في أيمن طالع وأسعده، وحل في أفضل وقت محمود بأحمده، وأقبل وخيل الخير تقاد بين يديه، وقدم قدوم الغيث إلى الأرض المحتاجة إليه.

ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين لحديث أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن صوم يوم الاثنين فقال: ذاك يوم ولدت فيه، ويوم بعثت -أو أنزل علي- فيه (صحيح مسلم).

وذكر الزبير بن بكار والحافظ ابن عساكر أن ذلك كان وقت طلوع الفجر، يدل له قول جده عبد المطلب: ولد لي الليلة مع الصبح مولود.

وعن سعيد بن المسيب: ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند إبهار النهار -أي وسطه- وجزم به ابن دحية وصححه الزركشي في شرح البردة سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١/٣٣٣

ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شهر ربيع الأول:

فعن ابن عباس قال: ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول، وقبض يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول (أخبار مكة للفاكهي ٤/٧).

وعن محمد بن إسحاق قال: ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين، لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول عام الفيل (السيرة النبوية لابن هشام ١/١٨٣).

وعن قيس بن مخرمة قال: ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الفيل (سنن

الترمذي).

وقال الزبير بن بكار: حملت به أمه في شعب أبي طالب، وولد يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول عام الفيل، وقيل: لثمان خلون منه، وقيل: لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، وذلك بعد قدوم الفيل بشهر، وقيل: بأربعين، وقيل: بخمسين يوما.

قال: وكان قدوم الفيل لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم يوم الأحد، وكان أول المحرم يوم الجمعة، ووافق يوم ولادته يوم عشرين من نيسان سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة للإسكندر ذي القرنين (جامع الأصول لابن الأثير ١٢/٨٩).

فمتي كان عام الفيل؟

يربط المؤرخون عام الفيل بكسرى فارس أنو شروان، وكذلك بتاريخ الإسكندر ذي القرنين.

يذكر جرجس العميد ابن أبي إلياس الذي اشتهر في أوروبا باسم المكين وهو صاحب مختصر التواريخ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد بلغ الثامنة من عمره وقت وفاة كسرى أنو شروان الذي توفي عام ٥٧٩ م (مخطوط بمكتبة باريس ملحق المخطوط العربي رقم ٧٥١)..

وبلغ الثامنة تحتمل أنه أتمها أو في أولها فيكون عام الفيل عام ميلاد النبي هو ٥٧١ م أو ٥٧٢ م أضف إلى أن الثامنة في عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم محسوبة بالقمري على الغالب، يكون الراجح ٥٧٢ م.

ويقول: إن النبي ولد ببطحاء مكة في الليلة المسفرة عن صباح يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول يوافقه من شهور الروم الثاني والعشرين من نيسان سنة ٨٨٢ للإسكندر.

وحسب التقويم العام لميخائيل دبانة: فإن يوم الاثنين ٩ ربيع أول سنة ٥٣ قبل الهجرة يوافق ٢٢ إبريل سنة ٥٧٢ م، (التقويم العام لخمسة آلاف عام لميخائيل دبانة ص ٥٨، مطبعة الهلال ١٨٩٨ م).

وإن فلكي برلين الكبير المسيو إيدلر يقول: إن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم قد ولد طبقا لما ذكره المكين يوم ٢٢ نيسان من سنة ٨٨٣ من تاريخ الإسكندر، (رسالته عن الكرتولوجية الرياضية ج ٢/ ص ٤٩٨. وقد جعل محمود الفلكي نيسان عام ٨٨٢ و٨٨٣ من تاريخ الإسكندر يوافق عام ٥٧١ ميلادي! راجع ص ٣٩ من التقويم العربي قبل الإسلام طبعة مجمع البحوث ١٩٦٩ م).

ويقول الإمام شمس الدين الخلال: من المؤكد أن النبي عليه الصلاة والسلام ولد في يوم الاثنين من شهر ربيع الأول في العشرين من شهر نيسان عام الفيل في عهد كسري أنو شروان، وفي الثالثة والخمسين هاجر إلى المدينة. (مخطوط الجفر الكبير ص٤، بمكتبة باريس رقم ١١٧٤)..

وعليه فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أتم ثلاثا وستين سنة في العام العاشر الهجري في حجة الوداع.

فعن ابن عباس قال: أقام رسول الله بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، وبالمدينة عشرا، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة (صحيح مسلم).

وعن جابر: أن البدن التي نحر رسول الله كانت مائة بدنة، نحر بيده ثلاثا وستين، و نحر على ما غبر (مسند أحمد وصحيح ابن حبان)، وفيه إشارة إلى عدد سنين عمره صلى الله عليه وآله وسلم وقت حجة الوداع العام العاشر.

ويلاحظ على تقويم دبانة رغم دقته أن التاريخ الهجري يتأخر يومين أو ثلاثة مثال:

- يوم ١٨ يوليو ٦٢٣ م يوافق في أغلب التقاويم ٣ محرم من العام الهجري الأول، وعنده يوافق بداية التقويم الهجري.

- ويوم ٢٧ يناير ٦٣٢ م الذي رصد فيه تاريخ الكسوف الشمسي الذي حدثفي المدينة مصاحبا لوفاة إبراهيم ابن النبي يوافق ٢٩ شوال عام ١٠ هـ، بينما نجده عنده يوافق ٢٦ شوال.

وبناء على ذلك يمكن القول بأن ميلاد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان يوم الاثنين الموافق ١٢ ربيع أول عام ٥٣ قبل الهجرة ٢٢ أبريل عام ٥٧٢ م.

عن الحكمة في اختصاص ميلاده بيوم الاثنين وبفصل الربيع يقول أبو عبد الله بن الحاج في المدخل (٢/٢٧): أولا: ما ورد في الحديث من أن الله تعالى خلق الشجر يوم الاثنين (صحيح مسلم)، وفي ذلك تنبيه عظيم، وهو أن خلق الأقوات والأرزاق والفواكه والخيرات التي يتغذي بها بنو آدم ويحيون ويتداوون وتنشرح صدورهم لرؤيتها وتطيب بها نفوسهم وتسكن بها خواطرهم عند رؤيتها لاطمئنان نفوسهم بتحصيل ما يبقي حياتهم على ما جرت به العادة من حكمة الحكيم سبحانه وتعالى، فوجوده صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الشهر في هذا اليوم قرة عين بسبب ما وجد من الخير العظيم والبركة الشاملة لأمته صلوات الله عليه وسلامه.

ثانيا: فصل الربيع فيه تنشق الأرض عما في باطنها من نعم المولى سبحانه وتعالى وأرزاقه التي بها قوام العباد وحياتهم ومعايشهم وصلاح أحوالهم، فينفلق الحب والنوى وأنواع النبات والأقوات المقدرة فيها، فيبتهج الناظر عند رؤيتها وتبشره بلسان حالها بقدوم ربيعها، فمولده عليه الصلاة والسلام في شهر ربيع فيه إشارة ظاهرة من المولى سبحانه وتعالى إلى التنويه بعظيم قدر هذا النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأنه رحمة للعالمين وبشرى للمؤمنين وحماية لهم من المهالك والمخاوف في الدين، وحماية للكافرين بتأخير العذاب عنهم في الدنيا لأجله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} [الأنفال:٣٣].

ثالثا: ما في شريعته من شبه الحال، ألا ترى أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها إذ ليس فيه برد مزعج ولا حر مقلق، وليس في ليله ونهاره طول خارق بل كله معتدل، وفصله سالم من العلل والأمراض والعوارض التي يتوقعها الناس في أبدانهم في زمان الخريف، بل الناس تنتعش فيه قواهم وتصلح أمزجتهم، وتنشرح صدورهم، لأن الأبدان يدركها فيه من إمداد القوة ما يدرك النبات حين خروجه إذ منها خلقوا، فكان في ذلك شبه الحال بالشريعة السمحة التي جاء بها صلوات الله عليه وسلامه من رفع الإصر والأغلال التي كانت على من كان قبلنا، قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} [الأعراف:١٥٧].

نسب النبي:

هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ابن عبد الله من آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم، ابن عبد المطلب من فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة، ابن هاشم من سلمى بنت عمرو النجارية، ابن عبد مناف من عاتكة بنت مرة السلمية، ابن قصي من حبي بنت حليل الخزاعية، ابن حكيم من فاطمة بنت سعد، ابن مرة من هند بنت سرير، ابن كعب من وحشية بنت شيبان، ابن لؤي من ماوية بنت كعب، ابن غالب من سلمي بنت كعب بن عمرو الخزاعية، ابن فهر من ليلى بنت سعد، ابن مالك من جندلة بنت الحارث؟ ابن النضر من عاتكة بنت عدوان، ابن كنانة من برة بنت مر، ابن خزيمة من عوانة بنت سعد، ابن مدركة من سلمى بنت أسلم، ابن الياس من ليلى بنت حلوان، ابن مضر من الرباب بنت حيدة، ابن نزار من سودة عك، ابن معد من معانة بنت جوشخ، ابن عدنان، وعدنان يعود نسبه إلى إسماعيل النبي ابن إبراهيم النبي عليهما السلام.

نسب كأن عليه من شمس الضحى... نورا ومن فلق الصباح عمودا
ما فيه إلا سيد من سيد... حازالمكارم والتقى والجودا

ونسب النبي طاهر شريف من بدايته إلى منتهاه، اصطفاه الله من ذرية آدم وإبراهيم عليهما السلام.

قال أثلة بن الأسقع: سمعت رسول الله يقول إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم (صحيح مسلم) وفي رواية للحاكم في مستدركه عن ابن عمر: فأنا من بني هاشم من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم.

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله: ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء، وما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام (الطبراني في المعجم الكبير) وكان نسب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أشراف العرب، وفي البيوت ذات العز والشرف والعدد، حتى قيل: إن أمه هاجر القبطية أم إسماعيل كانت بنت ملك من ملوك منف.

وعن سيابة بن عاصم أن رسول الله قال يوم حنين: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، أنا ابن العواتك أي الطاهرات (الطبقات الكبرى لابن سعد) وكان النبي نورا في وجه أبيه عبد الله، فكانت امرأة ترى نوره في وجه عبد الله فتعرض نفسها عليه، فلما دخل بآمنة فحملت برسول الله، خرج فلقيها فما عرضت، فقال: ما لك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت علي بالأمس؟ قالت: فارقك النور الذي كان معك بالأمس.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا} [النساء:١٧٤] وقال: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة:١٥] والنور الذي ظهر وقت ولادته اشتهر في قريش وكثر ذكره فيهم.

وسأل أبو أمامة رسول الله قال: ما كان أول بدء أمرك؟ قال: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام (أحمد في المسند، والحاكم في المستدرك) دعوة إبراهيم قوله: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [البقرة:١٢٩]. وبشرى عيسى قوله تعالى: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف:٦].

==

ما يمتاز به أهل الشوق والمحبة للحق ورسوله

الحبيب عمر بن حفيظ

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على الحبيب المحبوب، أكرمنا جل جلاله بإشراقة أنوار عبده المصطفى محمد، فكان لأهل عالم الشهادة، وأهل عالم الحس، وأهل عالم الدنيا تاريخ جديد، وعطاءٌ ومزيد من حضرة الواحد المجيد.

دخل العَمر الذي أقسم الله به في القرآن (لعمرك) من ليلة ميلاده صلى الله عليه وآله وسلم. وابتدأت الأمة تتميز عمن قبلها من ميلاده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فلم يكن قبل ذلك الميلاد فضلٌ لأمة كفضلِ هذه الأمة وإلى متى ..؟ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها آثار الميلاد قائمة بالوجود، آثار ميلاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ساري سرُها في تفضيل هذه الأمة، وفي جريان الخيرات لها من حضرة الرحمن الرحيم جل جلاله، وفي بقاء أسرارِ الاتصال بوحي الله، وتشريع الله، وفضل الله، ورحمة الله ونور الله سبحانه وتعالى.

ومعاني القربِ منه ومعاني الفهم عنه قائمة في هذه الأمة بأسرار ذلك المولود صلى الله عليه وبارك عليه وعلى آله وكل من مضى في هذه السلسة .. سلسلة المعرفة ، سلسلة المحبة، سلسلة الصدق، سلسلة الآداب، سلسلة الاطلاع على أسرار الوجود، سلسة الاطلاع على معاني أسماء الحق المعبود

وصفاته جل جلاله، وحيازة السر من المعرفة به، وهي ألذ ما يُعطى الناس، وأعلى وأرفع ما يُعطى الناس كلهم، من أثر ذرات ذلك المولود صلوات ربي وسلامه عليه.

ذرات من أثر نور ذلك المولود صلوات ربي وسلامه عليه إلى مجمعنا وصاحب مجمعنا في شرق الأرض ومغاربها من ذكر أو هدى أو نور أو صلاة أو قراءة أو عبادة ممن عرفت عمن أخذت من رأسها، رأسها محمد، رأس الذكر لكل ذاكر، رأس الشكر لكل شاكر، رأس الصلاة لكل مصلي، رأس العبادة لكل عابد، رأس الهدى لكل مهتدي، رأس الحضور لكل حاضر، رأس النور لكل منور، رأس التقوى لكل متقي.. يا ربي صلِ عليه وعلى آله وأصحابه صلاة توفر به حظنا من السعادة بهذا النور، ومن السعادة من الاتصال ببدر البدور، والارتباط به في طول الأعمار، وعند خروج الروح من الأجساد، وفي البرازخ وفي يوم المعاد.

يا الله: إذا حمل لواء الحمد فاجعلنا من أسعد الناس بالقرب منه، ومن أسعد الناس بالدخول في دائرته، وفي دار الكرامة يا رب، وفي مستقر الرحمة شرِّف هذه العيون بالنظر إلى طلعته الغرَاء، وإلى وجهه الأزهر يا الله، وعجل لهم بنصيب من ذلك في خلال الأعمار القصيرة في هذه الدنيا، وأكرمنا وإياهم بنصيب وافر من ذلك في برازخ الأنوار .. والويل لمن لا يراه يوم القيامة.

أيها المجتمعون على هذه الخيرات:

حركوا هممَكم وابعثوها لتلقِّي الفيوضات من حضرة الذي يعطي ولا يبالي

من هو..؟ الله ..

الذي عرَفنا اسمَه وعرَفنا وصفَه بـ (محمد) ودعوته، وبيانه ودلالته، وصبره ومجاهدته، وجوعه وتبتله، وبكائه وخضوعه، وحضوره وخشوعه، وهجرته وإسرائه، وغزواته صلى الله عليه وآله وسلم، ومكابدته وحسن بلاغِه عن الله، اللهم اجزِه عنا أفضل ما جزيت نبيًا عن أمته، أفضل ما جزيتَ به رسولاً عن قومه.

أيها المجتمعون: حركوا هممَكم لترتقوا.. لتتصلوا.. لتدخلوا في دوائر الفضل الرباني، التي كم عُقدت المجالس ليدخل الداخل فيها، ليحصل المحصِّل نصيبَه من سرِّ اتصاله الخاص بباريه جل جلاله وتعالى في علاه.

لاشك أنك بحكم إسلامك وإيمانك وتصديقك بما جاء امتدَ لك نصيبٌ من نور الصلة بالله، ولكن تريد أحلف لك أن وراء هذا النصيب أجل وأكبر وأعظم. حالت بينك وبينه اتجاهاتٌ عندك، ووجهاتٌ قلبية، وحالَ بينك وبينه رضا بالحجب، وحصلت عليك رضا بأوصاف دنيئة، رضا بكلمات ما كان ينبغي أن تصدُر من لسانك أخذتَ تُصدرها، رضا بنظرات ما كان ينبغي أن تصدر من عينيك خلت تنظر بها.. أخذتَ تنظر يمنة ويسرة، نسيت ما حُذِرت به وأنذِرت (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)..

واسمعها بأرفع وأوسع وأجمع: يقول لك الرب على لسان المصطفى المشفع صاحب الجاه الأوسع الذي أكرمنا بوصلة البلاغ عن الله به صلى الله عليه وآله وسلم، يقول ربي وربك:

(أم يَحْسَبُونَ أنّا لا نَسْمَعُ سِرّهُمْ وَنَجْواهُمْ بَلى وَرُسُلُنا لدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ)

إقامة لهذه الشؤون هذه المظاهر والأعذار والحجج والحقيقة هو السامع انه المطلع أنه الذي يرى جل جلاله وتعالى في علاه،

وها نحن وإياكم في حضرته العلية جل جلاله بين يديه سبحانه وتعالى في توجُهنا إليه، في تعرضنا لرحماته..يا ربي مستوى الصلة التي كانت وسِعها لنا، وارفعنا فوقها يارب هيء كل واحد منا أن يرتقي في ليلته هذه لصلة جديدة ومزيد، يحظى به من حضرتك يا علي يا حميد.

وأهل المزيد في هذا العطاء يحيون حياة الهناء، وعند الغرغرة واللقاء تبسط لهم بساط البشارات، وإذا وُضعوا في الألحاد أشرقَ عليهم نورٌ خير هاد، وإذا وُضعوا في الألحاد نازلتهم عنايات وملاطفات رب العباد.

كم مِن ميت صادق مع الله في وجهته تستحي الملائكة من مقابلته إذا رأت نور وجهه مشرقا بسر العبودية للحق تباك وتعالى، من أسرار تلك الصلة القوية خجلت منه لمكانه من مليكها، لمكانه من إلهها، لمنزلته من خالقها سبحانه وتعالى.

فيا ما أعجب الصلات بالله! عُقدت المجالس لتتصل، فاتصل يا أخي، لا تنقطع بشيء من شهواتك أو بشيء من دنيء الصفات ..

إن كنت تحب أن تتخلى عن ذميم الصفات فمنها ما تعلم ومنها ما لا تعلم. في المجمع معك أربابُ قلوب وأرواح طاهرة وملائكة يعلمون منك ما لا تعلم من نفسك، إذا صدقتَ في وجهتك دخلتَ في وجهاتهم فتوجّهت أنت بما تعرف، وتوجهوا لك بما لا تعرف.. ثم قابلَ الكلَ قبولَ الذي إذا قبل أعطى على قدرِ علمه وعلى قدر كرمه، الذي يفوق علومَ الملائكة والمقربين والصديقين وعلمه المحيط بكل شيء وكرمه الذي لا يقف عند حد.

أنت بين يديه يا أخي، ها نحن واياك، المجمع مجمعٌ عقد بعقدِ المشفع، جاء من هناك خبر سر الاتصال هذا، وسر الولاء هذا، وسر المحبة هذه، وسر الوجهات هذه، وسر بروز العلماء أو الصلحاء فينا ممن أسس هذه المجالس وذكر فيها وحضرها، وقاد أزمّتها الباطنة من أهل الظاهر وأهل الباطن إلى مجمعنا هذا، كل تلك عطايا من المعطي وَقفتم بها على باب كرمه..

لم أزل بالباب واقف فارحمَن ربي وقوفي

وإذا رحم وقوفك أذهبَ حُجبك كلها ومزّقها ..إذا رحم وقوفك أذن لك بالدنو في حضرات القدس فعِشت عيشة الكرام عيشة لا يمكن أن توجد بحضاراتٍ أرضية ولا باكتشاف أجهزة سلكية

ولاسلكية. إنها الأجهزة السلوكية، أجهزة السلوك إلى ملك الملوك جل جلاله، تلك التي يعظم شأنها ويعظم أمرها.

عجبا لمن يتعجب في صاروخ أو في طائرة أو في مركبة فضائية، يحاولون الوصول بها إلى شيء من الكواكب بين السماء والأرض!! ثم لم يمتد نظره إلى عند المستجيبين بصدق لهذه الدعوة صارت لهم أرواح متصلة بالسموات العلى وبالعرش..

لأقوالهم شأن مع عرش الرحمن، لمجالسهم شأن مع عرش الرحمن، لوجهاتهم شأن مع العرش والكرسي وسدرة المنتهى والبيت المعمور ومن فيه، هذا هو العجب.

أتدري أن نبيّك محمدا صلى الله عليه وآله وسلم سمى ذاك المحب الصادق سيدنا جعفر سمي (الطيار) على لسان المصطفى، لما تلقوا عنه أن يطير بجناحيه في الجنة .. الطيار قبل أن تعرف الحضارات طيار، قبل أن تعرف العوالم طيار.

وهؤلاء الآن طيارين وشركات الطيران بأصنافها إلى أين يصلون أيجاوزون الكرة الارضية وغلافها الجوي؟ أيجاوزون شيئا من هذه الكواكب بين السماء والأرض؟

لكن طيارنا الأول جاوز السموات، طيارنا الأول جعفر بن أبي طالب عليه رحمة الله تبارك وتعالى يطير في جنة ربنا، من منطقة إلى منطقة، في دارٍ أصغر مُلكٍ لأقل واحد فيها - وما فيهم قليل - مثل الدنيا عشر مرات.

فأين هذا الطيران من هذا الطيران يا من بُهتوا بأشياء تزول وعما قريب تخرب!؟

ألا هل لكم عقول تتعشَق ما لا يزول؟ ألا هل لكم عقول تدرك حقيقة ما يبقى بغير أفول؟

ألا إن عندنا شمسا لا تزول، دعُوا الكهرباء متى أرادت أن تنطفئ فلتنطفئ، ودعوا الشمس متى أرادت أن تكسف فلتكسف ..

ودعوا القمر متى أراد أن يُخسف فليُخسَف ..
معنا سراج لا خسف له، معنى سراج لا كسف له، معنى سراج لا انطفاء له
هو شمسنا الشارقة التي ما لها غروب
صلى الله عليه وآله وسلم وبارك عليه وعلى آله
معنى قمر ما بدا غابت ولا با تغيب

لو أشرق اليوم نوره في قلبك لعرفتَ سرّ الأنس بهذا النور، وما باليت بالظلمة الظاهرية في هذا العالم، ولا بساعة الوضع في اللحد، ولأدركتَ من سر هذا النور مؤانسة من حضرة المصطفِي المجتبي لهذا المجتبَى.. إنه الله جل جلاله.

(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا)
(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)

يا حي يا قيوم: شرِّف هذه القلوبَ بإشراقة ضياء هذا النور، واجعله يزداد على مدى الدهور، حتى نجتمع في دائرته يوم البعث والنشور، وفي دار الكرامة يا أكرم الأكرمين، مع السابقين من غير سابقة عذاب ولا عتاب ولا فتنة ولا حساب.

أيها الحاضرون في المحضر:

ميزانٌ في هذا العالم نحياه، الفوارق بين من يتعشّق رؤية محمد ولقياه وبين من لم يحظَ من هذا بنصيب من مولاه.

الفوارق بينهم: وجهاتهم.. آدابهم.. أخلاقهم.. اهتماماتهم، فلا يغرنكم شيءٌ مما يُنشر لكم من شرق الأرض أو غربها، خذوا منشوراتٍ من عند رب المشارق والمغارب، حملها إلينا سيدُ أهلِ المشارق والمغارب، حملها إلينا النورُ الذي إذا خسف القمر وجُمع الشمس والقمر، أشرق فعمّ كلَّ الخلائق فيما بطن وفيما ظهر.

اللهم اربطنا بذلك النور (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وأيمانهم) كأني بالمقبول منا في المجمع مذكورٌ وسط الآية، مرادٌ مِن قبل منزل الآية وسط الآية، فيا بُشراه بهذه العطية من رب البرية جل جلاله.

وتوجّهوا بقلوبكم إلى الله أن لا يترك فينا واحدا غير مُراد، وأن لا يترك فينا واحدا ما أراده بهذا العطايا من حضرته، يا كريم يا جواد: بمحبتك لخير العباد لا تخلِف منا صغيرا ولا كبيرا، اجعل الكل مرادا لك بأنه مع محمد، يحشر معه في ذا يوم المصير (يوم لا يخزي الله النبي والذين معه) ما أحلاها من كلمة، (معه) هل تدرك معناها؟

إذا أدركت معناها ما قدر يغويك أحد بوزارة، إنك مع وزارة، ولا بمهارة أنك مع تلك المهارة، ولا بوظيفة أنك مع تلك الوظيفة، ولا بلقب أنك مع ذاك اللقب، ولا بقناة أنك مع تلك القناة، ولا بلعبة أنك مع تلك اللعبة.. بعد أن تذوق معية الصفوة، ما ترضى بهذا، ما يغرك هذا.

لكنه يأخذ القلوب التي ما ذاقت حلاوة معية خير البرية..

كانوا يتذوقونها في كل صلاة، لما جاءت مشروعية صلاة الخوف في الجهاد في سبيل الله، وقسّم المجاهدين إلى فرقتين، ما قال: فرقة يصلون معك، وفرقة مع غيرك، لأنهم كلهم يذوقون حلاوة المعية ولا يستبدلون بها غيرها، يريدون أن يصلوا معه، يريدون أن يسجدوا معه، يريدون أن يدخلوا الحضرة معه صلى الله عليه وآله وسلم.

فنصَ الله على ذلك في القرآن، وجاءِ الشرع قال: أنت وبعد من يخلفك ليكون رابطة بك في أمتك، قل للمجاهدين أن يرتبوا هذا الترتيب (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأتِ طائفة أخرى) الأولى معه والثانية كيف خبرها؟ قال (ولتأتِ طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) أدخلهم بالمعية (فليصلوا معك وليأخذوا حذرَهم وأسلحتهم)

ولتذوّقهم أسرارَ هذه المعية ومعناها مرّ يوما وجماعة يرمون بالنبل، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ارموا بني أرفدة فإن أباكم إسماعيل كان راميا، ارموا وأنا مع بني فلان، فأمسك الكل وتوقفوا، مالكم ارموا، قال: كيف نرمي وأنت قلت مع بني فلان!؟ قال: ارموا وأنا معكم كلكم. دار الكاس ذاق الحلا .

ما رموا لما قال: وأنا مع بني فلان، ولما قال لهم: معكم كلكم اطمأنت نفوسهم.

والليلة هل ستكون معه أو ما أنت معه!؟ وإذا لم تكن معه وما ذقت حلاوة معه.. ساعتها نذهب بك إلى أي مستشفى!؟ نعرضك على أي طبيب!؟ من لعلتِك يداويك؟ حُجبت الناس عن ذي الأذواق، لا والله لا تصنعها مصانع شرق ولا غرب، والله ما توجد في خزائن ملوك ولا مَن سواهم، خلفَها لنا صاحب التركة العظيمة، معروضة علينا، الله لا يحرم أحدا منها، الله يدخلنا كلنا في هذه الدائرة معه.

معه نحيا يا رب، معه نموت، معه يا رب نحشر، يا رب معه تحت لواء الحمد، يا رب تحت ظل العرش، يا رب معه عند المرور على الصراط، يا رب معه في دار الكرامة وجناتك العلا يا رب، يا رب معه صغارنا معه وكبارنا، معه رجالنا، معه نساؤنا..

ومن حضر المحضر أذِقهم يا ربي حلاوة المعية، ولذة المعية، حتى لا يرضوا لأنفسهم بالدنية، والهُوِي مع الأغراض السفلية.

يا الله حرِّر هذه القلوب، يا الله حرِّر هذه النفوس، يا الله حرِّر هذه الوجهات، اجعل وجهتنا إليك، واعتمادنا عليك ..

لم أزل بالباب واقف فارحمن ربي وقوفي
وإذا رحم وقوفك أدخلك إلى دائرة الفضل، وفي هناك ما عاد تريد أن تنصرف لا يمنة ولا يسرة
وبواد الفضل عاكف فادم ربي عكوفي
ولحسن الظن ألازم ..

حسن الظن بالله، حسن الظن بالأنبياء، حسن الظن برسله، حسن الظن بالصحابة، حسن الظن بأهل البيت، حسن الظن بالعلماء، حسن الظن بالأحياء، حسن الظن بالأموات..

ولحسن الظن ألازم فهو خلي وحليفي
وأنيسي وجليســي طول ليلي ونهاري

ومن جاءِ بحسن الظن انقضت حاجته، وتحققت مسألته..
حاجة في النفس يا رب فاقضها يا خير قاضي
يا الله ومن حاجتنا نظرتك إلى هذه القلوب كلها

حرك همتك وقل يا الله، لا بلسانك وحده، قل بكلِيتك يا الله .. بقلبك قل يا الله، في دمك قل يا الله، بشعرك قل يا الله، بعظامك قل يا الله، في عصبك قل: يا الله بعصبك قل يا الله، بخلاياك قل يا الله، لأنه ليست فيك خلية من صنع غيره، خلاياك كلها من صنعِه فناده بها، هو أحق أن يُتوجّه بها إليه، توجه بكلِيتك، قل لهذا القريب المجيب الذي جعلك من أمة هذا الحبيب وأسرى إليك الخير والنصيب في هذه الساعة قل له بكليتك يا الله ..

فهو وعزته يسمعك، نعم يسمعك، قل له: يا الله، ومع أنه يسمعك ينظرك ويبصرك ويراك، إنه الله.. فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

إنه الأكرم يا فردا من أمة محمد، انوِ النية الصالحة في باقي عمرك، اغتنم ساعة العطاء، اغتنم ساعة القبول، ما تحصلها كل ساعة..

يا حي يا قيوم اجعلها من ليالي الأنس، لا تحرمنا يا الله، لا تخيبنا يا الله، لا تقطعنا يا الله، لا تصرف الخيرَ عنا.. نسألك من فجأة الخير ونعوذ بك من فجأة الشر.

نوِّر القلوب، ونوِّر القبور، وهيئنا لمرافقة بدرِ البدور، ونور النور محمد المصطفى المحمود، سببُ السعادة لكل مسعود، أكرمِ كلِّ مولود.. كلكم صلوا عليه، هو القائل: من صلى عليه واحدة صلى الله به عليه عشرا، اللهم صلِّ وسلِم وبارك عليه وعلى آله وصحبه تسليما، واكتب لنا القبول فنبيت وأنت تصلي علينا،

ومن بات وأن تصلي عليه بُدِلت سيئاته إلى حسنات، ومن بات وقد صليت عليه أشرقت له الأنوار الباهيات.

يا الله الباقي من ربيع الأول اجعله في ارتقاء عظيم، ومددٍ جسيم، وخيرٍ ونعيم، وثباتٍ على الصراط المستقيم..

وفي الأمة جروح .. وفي الأمة بلايا .. وفي الأمة شدائد.. وفي الأمة رزايا .. وفي الأمة يا مولانا آلام، وفيها أمراض ظاهرة وباطنة.. داوِ الأمة يا رب، والطف بها وارحمها وعافها وخلِصها وفرج عليها .. يا رب..

إن من يريدون بظنِهم إصلاح شيءٍ من الأحوال يتصلون بذا وذاك ويعملون ما عندهم، ونحن نتصل بك يا قوي يا قادر يا من بيده الأمر الظاهر والباطن.. نقول لك: بمحمد فرِّج على أمته يا رب، تدارك أمته يا رب، أغِث أمته يا رب، واجعلنا في خيار أمته يا رب.. يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين.. يا أرحم الراحمين فرِّج على المسلمين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مقالات الإمام محمد زاهد الكوثري حول المولد النبوي الشريف

أربع مقالات للإمام المحدث الفقيه الحجة الشيخ

محمد زاهد الكوثري

وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية ورئيس العلماء فيها
ولد ١٢٩٦ـ وتوفي ١٣٧١هـ رحمه الله تعالى

المقالة الأولى: مولد خاتم رسل الله عليه أزكى الصلوات

في مثل هذا الشهر المبارك قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة ولد فخر المرسلين بمكة المكرمة، فاستنار الكون بنور طلعته صلى الله عليه وسلم، وأشرقت الأرض بهذا النور الوهاج حتى انقشعت الظلمات المتراكمة على هذا العالم، المتوارثة من القرون الهمجية المتوغلة في الجهل.

وكذلك كان مصير الجهالات التي غشيت العقول على تعاقب أدوار الجاهلية حيث أخذت تزول شيئا فشيئا بنور هديه صلوات الله عليه، إلى أن عمّ فيضه البسيطة واستنارت بصائر الذين آمنوا به استنارة تضئ لهم ما وراء الحجب الظلمانية من الضار والنافع، فتركوا الضار وأخذوا النافع، حتى تمكنوا في أيسر مدة من القيام بأعمال عظيمة عجزت عن عشر معشارها الأمم الأخرى طوال قرون في أقطار الأرض.

ومن استعرض ما كان عليه طوائف البشر من الجهل المطبق والتدهور المطلق في شؤونهم كلها أوان البعثة النبوية، ثم فكّر فيما تمّ للمسلمين بعد مبعثه -صلوات الله وسلامه عليه- من عزٍ منيع ورقيٍ باهر في جميع مرافق الحياة، واعتلاء شأنٍ في العلوم والأعمال والأخلاق بما يرضى الله ورسوله اعتلاءً يوازن مقدار تمسكهم بأهداب هذا الدين الحنيف، يجد معجزات فخر الرسل صلى الله عليه وسلم تتجدد على توالي القرون وهكذا إلى انتهاء الحياة البشرية في هذا العالم.

فدونك الطوائف البشرية في عهد الجاهلية، فمنهم طائفة كانوا يئدون بناتهم، ويعبدون الأصنام وما عسى أن يأكلوه أيام المجاعة.

ومنهم أمة كانوا يبيعون أرض الجنة شبرا شبرا للذين يستغلونهم، ويعتقدون في الله أنه شيخ أشمط قاعد على كرسي أبيض الرأس واللحية وحوله الأملاك، تعالى الله عما يفترون.

ومنهم أهل دين يقولون بالتثليث والحلول، وهم عن قضايا العقول ذاهلون -تعالى الله عما يأفكون-.

ومنهم شراذم يتعبدون الأجرام العلوية، ويعتقدون أن الإله قاعد على العرش في السماء قعود الملِك على سرير الملك في الأرض -تعالى الله عما يختلقون- إلى غير ذلك من الخرافات التي يستبعد العاقل وجود أناس يعتقدون تلك المخازي في غابر الأجيال.

فبإشراق نور هديه صلوات الله عليه انجلت تلك الظلمات عن طريق دعوة سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، حتى تمّ للمسلمين ما يعلمه الجميع من المفاخر.

وما لهذا الرسول العظيم من نواحي العظمة جدّ عظيم، وقد عجز كبار أهل العلم عن شرح بعض

مزاياه العظيمة، وأنى لمثل هذا العاجز أن يتصدى لبيان ناحية من نواحي ما لهذا النبي الشفيع من الذكر الرفيع ؟ وفي بيان ذلك كتب خاصة حافلة تطلع على شيء من نواحي عظمته صلوات الله وسلامه عليه.

وقد أيد الله سبحانه وتعالى أحب خلقه إليه بأكمل المعجزات وأتم البراهين، وبعثه إلى الناس كافة يدعوهم إلى الدين الأكمل والشرع الأتم، فبه ختمت الرسالة من الله.

والقرآن الحكيم هو معجزته الخالدة، وقد خص أحكم الحاكمين بخاتم كتبه المنزلة خاتمَ رسله، فبه الكمال والتمام، وبه الختام والاختتام، فلا بأس أن نتحدث عن هذا الكتاب الكريم الذي سعدت هذه الأمة باعتصامها بأحكامه أيام مجد الإسلام، وإنما ذلّ من ذل بإعراضه عن تعاليمه القويمة.

وهذا القرآن هو الذي جعلنا نميز ما يجوز في الله سبحانه وما لا يجوز فننزهه عما لا يجوز وصفه سبحانه به، وهو الذي حفزنا إلى الاعتلاء في مرافق الحياة، والأخذ بكل ما فيه إعلاء كلمة الله وإسعاد الأمة، وهو الذي هدانا إلى مراضي الله تعالى في العبادات والمعاملات، وإلى طرق اكتساب الملكات الفاضلة والعلوم النافعة.

ولذلك كانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في غاية من الاعتناء بالقرآن الكريم كتابة وحفظا وتحفيظا ومدارسة لعلومه، وكانت صفة المسجد النبوي كدار للقراء يأوي إليها فقراء الصحابة ممن لا أهلَ لهم، يتدارسون القرآن ويتعلمونه، ثم يعلمونه لأهل البلاد المفتوحة على تجدد الفتوح، وكان جماعة من كبار الصحابة تفرغوا لتعليم الناس القرآن في المدينة المنورة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وكان بها دار للقراء خاصة، وكان لمعاذ بن جبل ثم لابن عباس رضي الله عنهم عناية عظمى بتعليم القرآن وعلومه لأناس لا يحصيهم العد في مكة المكرمة.

وكان ابن مسعود رضي الله عنه قد علم القرآن وعلومه لعدد عظيم من أهل الكوفة، ويبلغ بعضُ ثقات أهل العلم عددَ هؤلاء إلى نحو أربعة آلاف قارئ ما بين متلقٍ منه مباشرة أو آخذ عمن أخذ عنه.

وأبو موسى الأشعري رضي الله عنه كان أيضا يصنع صنيعه بالبصرة، وقد حدث الحافظ ابن الضريس أبو عبد الله محمد بن أيوب البجلي في كتابه »فضائل القرآن« عن مسلم بن إبراهيم عن قرة عن أبي رجاء العطاردي البصري أنه قال: »كان أبو موسى يطوف علينا في هذا المسجد -يعني مسجد البصرة- فيقعدنا حلقا حلقا يقرئنا القرآن« اهـ.

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يعلم القرآن في كل يوم من طلوع الشمس إلى الظهر، ويقسم المتعلمين عشرة عشرة ويعين لكل عشرة عريفا يعلمهم القرآن، وهو يشرف على الجميع يراجعونه إذا غلطوا في شيء، راجع تاريخ دمشق لأبي زرعة وتاريخ ابن عساكر.

ولو أخذنا نسرد ما لأصحاب هؤلاء في الأمصار من السعي الحثيث في تعليم القرآن والتفقيه في الدين في أمصار المسلمين لطال الكلام.

وها هو الإمام ابن عامر الدمشقي صاحب أبي الدرداء وأحد الأئمة السبعة من القراء كان له وحده أربعمائة عريف، يقومون بتعليم القرآن تحت إشرافه -وهو الإمام الذي يجترئ على قراءة مثله الشوكاني والقنوجي بدون وازع لهما، مع خطورة الكلام على القراءة المتواترة.

وفي المجلد الثاني من النشر الكبير لابن الجزري بحث ممتع في هذا الصدد، يردع أمثالهما من الخاطئين أو المخطئين المتحاملين على القراءات المتواترة.

وطريقة ابن عامر هذه هي طريقة الآخرين من أصحاب ابن عباس وأصحاب علي وابن مسعود وأصحاب أبي موسى رضي الله عنهم في التعليم.

وهكذا كان القراء في سائر الأمصار يجرون على هذا النمط في تعليم القرآن.

وكان الصحابة والتابعون يتعلمون فقه القرآن عند تعلمهم آيات القرآن، وقد أخرج الحافظ أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي في كتابه »فضائل القرآن« وقال: «حدثنا محمد بن عبيد بن حساب، ثنا حماد بن زيد، ثنا عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: إنما أخذنا بالقرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الآخر حتى يعلموا ما فيهن من العمل. قال: فتعلما العلم والعمل جميعا، وإنه سيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز هذا وأشار بيده إلى حنكه » اهـ.

وأبو عبد الرحمن السلمي هذا تلقى القرآن من علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو عمدته فيه، وقد عرض القرآن أيضا على عثمان وزيد رضي الله عنهما، وعنه أخذ السبطان الشهيدان رضي الله عنهما القرآن، وكان ذلك بأمر علي كرم الله وجهه.

وهكذا كانت الصحابة والتابعون في العناية بتعليم القرآن وتفهيم أحكامه وهكذا سار من بعدهم على سننهم مدى القرون يحفظه في كل طبقة من لا يحصيهم العدّ في كل قطر، حتى إذا أخطأ تالٍ في حرف من القرآن في قرى بعيدة عن المدن يجد هناك من يرده إلى الصواب، وهذا أمر لم يسبق لكتاب من الكتب في تاريخ البشر، وهكذا صدق الله وعده في حفظه.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم تتفاوت دلالة آياته على المعاني وضوحا وخفاء، ولو كانت آياته تتساوى في دركها الأفهام ـكمواد القوانين الوضعيةـ لخمدت الهمم وركدت الأفهام، يشملها الغباء لعدم وجود ما يحمل على الغوص والتفكير العميق.

لكن الله جلت حكمته جعل القرآن بحيث تختلف الأفهام والقرائح في إدراك أسراره واجتلاء معانيه، فاحتيج إلى علوم تساعد في تفهم أسرار الكتاب الحكيم، فلذلك دُوّنت العلوم العربية من مفردات اللغة والاشتقاق والصرف والنحو والبلاغة وما إلى ذلك من علوم اللسان.

ولذلك أيضا دوّن علم أصول التفسير وعلم أصول الدين وعلم أصول الفقه والجدل والتاريخ و نحو ذلك مما يفيد في معرفة مراتب الحجج والأدلة، وفي إدراك مواطن العبر من أنبائه.

وقد فاض كل هذه العلوم من القرآن الكريم زيادة على ما أفاده من العلم بالله وبمراضيه في العبادات والاعتقادات والمعاملات واكتساب الملكات والنظر في ملكوت السموات.

وما ألفه أهل العلم في اجتلاء روائع المعاني من القرآن الكريم مما لا يكاد يحصيه العد على اختلاف مسالكهم في العناية بالرواية أو الدارية وفنون الأفنان من علوم القرآن، وعلى تفاوت أذواقهم ومشاربهم في الاهتمام بجهة خاصة من مزايا القرآن المجيد.

وأرجو القارئ الكريم أن يسمح لي أن أذكر بعض مؤلفات علماء هذه الأمة في هذا الصدد مما يكون أنموذجًا لمساعيهم الجبارة في مضمار تدوين المؤلفات:

فها هو تفسير الإمام أبي الحسن الأشعري المسمى »المختزن» في سبعين مجلدا على ما يذكره المقريزي في الخطط.

وتفسير القاضي عبد الجبار الهمذاني المسمى «المحيط» في مائة سِفر.

وتفسير أبي يوسف عبد السلام القزوني المسمى »حدائق ذات بهجة» أقل ما يقال فيه إنه في ثلاثمائة مجلد، وكان مؤلفه وقفه وجعل مقره مسجد الإمام أبي حنيفة ببغداد ثم صار في عداد الكتب التي ضاعت في أثناء استيلاء المغول على دار الخلافة ببغداد إلا أني سمعت من أحد أدباء الهند: أنه رأى قطعة منه في أحد فهارس الخزانات.

وللحافظ ابن شاهين تفسير في ألف جزء حديثي.

وللقاضي أبي بكر ابن العربي »أنوار الفجر» في التفسير في نحو ثمانين ألف ورقة، والمعروف أنه موجود في بلادنا ، إلا أني لم أظفر به مع طول بحثي عنه.

ولابن النقيب المقدسي أحد مشايخ أبي حيان تفسير يقارب مائة مجلد يوجد بعض مجلدات منه في خزانات اسطنبول، ويوجد من تلك التفاسير بعض مجلدات في بعض الخزانات، فيما أعلم.

وأما أضخم تفسير تام يوجد اليوم ـ على ما نعلم ـ فهو تفسير »فتح المنان» المدعو بالتفسير العلامي المنسوب إلى العلامة قطب الدين الشيرازي، وهو في أربعين مجلدا، فالمجلد الأول منه موجود بدار الكتب المصرية، وبه تظهر خطته في التفسير، وفي مكتبتي: محمد أسعد وعلي باشا ـ حكيم أوغلى ـ في اسطنبول من مجلداته ما يتم بها نسخة كاملة.

وللعلامة محمد الزاهد البخاري نحو مائة مجلد في التفسير، كما في «المنهل الصافي»، ولعلماء هذه الأمة تفاسير لا تحصى سوى ما تقدم على اختلاف مسالكهم.

فما سردناه هنا نبذة يسيرة مما للعلماء من المساعي الحميدة في سبيل تبيين معاني كتاب الله العزيز وكشف أسراره التي لا تحصى.

ولهم أيضا مثل هذه الخدمة المشكورة في تدوين السنن الشارحة للكتاب المبينة لوجوه الإجمال فيه.

ومن هذين المعينين ـ الكتاب والسنة ـ ينبع شرع الله، وإليهما يستند إجماع المجمعين وقياس القائسين، وقد جعل أئمة هذه الأمة لكل واحد منها سياجا يضمن حراسته من عدوان المعتدين وتهوس الخاطئين فاستقرت بعنايتهم طرق الاستنباط ووجوه الاستدلال ووسائل الترجيح وسبل الدلالة، حتى أصبحت محجتهم بينة المعالم وأصولهم رصينة القواعد بحيث لا تقبل أي تشغيب.

فمن حاول أن يتخطى ما فهمه جمهرة أئمة العلم سلفا وخلفا من تلك الأدلة في أحكام الشرع لا يقع إلا على أم رأسه مترديا في هاوية الردى.

وليس للراسخين في الزيغ في آخر الزمن سبيل ما في المخالفة لجماهير أهل الفقه في الدين في شيء من أحكام الشرع، بل قصارى ما يستطيعون أن يعملوا: أن يفضحوا أنفسهم ويكشفوا للجمهور عن مغيب ما ينطوون عليه من الجهل الفاضح وتوخي الهلاك مع الهالكين.

وليست مخالفة جمهور الفقهاء في فهم كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الهين، بل ذلك أمر شديد

الخطر.

والله سبحانه أسأل أن يغرس في قلوبنا مخافته، ويوحد كلمتنا في دينه، ويلهمنا الاتباع بدون ابتداع، ويختم لنا بخير، وأن يسدد خطوات قادة الأمة وأدلائها إلى ما فيه سعادة الجميع، بجاه حبيبه ومصطفاه.

المقالة الثانية : المولد الشريف النبوي

ذكرى مولد النبي صلوات الله وسلامه عليه تجعلنا نستعرض ما كانت عليه طوائف البشر من صنوف الزيغ ووجوه الجاهلية من قبل، وما تمّ بيده الكريمة من سعادة شاملة لمن تبع دينه، ونور وهّاج يهدي إلى كل خير في الدارين ويكشف صنوف الظلمات المتراكمة على أبصارهم وبصائرهم من عهد الشقاء الذي ليس بعده شقاء، وكل ذلك بيُمن بعثته صلى الله عليه وسلم إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

وشهر ربيع الأول هو رمز ذلك اليوم المسعود، مولد فخر الوجود –صلوات الله وسلامه عليه- فنرى المسلمين طول هذا الشهر المبارك مثابرين على الاحتفاء بذكرى ولادته ومطلع نور هدايته صلى الله عليه وسلم عرفانا منهم لما فاض عليهم من نور هدى طلعته الميمونة، بعد ظلمة متراكمة وزيغ متواصل وضلال، ليس فوقه ضلال حتى تبدلت الأرض غير الأرض.

وقد أخرج أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، واستنبئ يوم الاثنين، وخرج مهاجرا يوم الاثنين، وقدم المدينة يوم الاثنين، وتوفى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين».

وقد اتفق جمهرة النقلة على أن مولده كان عام الفيل، وأنه كان يوم الاثنين، وأن شهر مولده هو شهر ربيع الأول -وذكرُ شهرٍ سواه لمولده عليه السلام ليس إلا من قبيل سبْقِ القلم عند النقاد- فيدور الخلاف المعتد به في تعيين اليوم من شهر ربيع الأول أهو عند انقضاء اليوم الثامن أم العاشر أم الثاني عشر ؟

فلا يعتدون برواية تقدم مولده عليه السلام على تلك الأيام، ولا برواية تأخره عنها، لعدم استنادهما على شيء يلتفت إليه.

فدار البحث في ترجيح الراجح من تلك الروايات الثلاث.

فالقول بأن ولادته عليه السلام عند انقضاء ثمانية أيام من الشهر قدّمه ابن عبد البر في الاستيعاب عند سرده لوجوه الخلاف في مولده عليه السلام، واقتصر عليه قبله أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي، خازن دار الحكمة المأمونية، وقال عنه الحافظ عمر بن دحية في كتابه «التنوير في مولد السراج المنير» -الذي أجازه عليه مظفر الدين صاحب إربل بألف دينار- : «هو الذي لا يصح غيره، وعليه أجمع أهل التاريخ».

فيكون هذا هو الراجح رواية، بل المتعين دراية؛ لأن اليوم التاسع عند انقضاء تلك الأيام الثمانية

هو الذي تعين لمولده صلى الله عليه وسلم، بعد إجراء تحقيق رياضي لا يتخلف بمعرفة الرياضي المشهور العلامة محمود باشا الفلكي المصري رحمه الله في رسالة له باللغة الفرنسية في تقويم العرب قبل الإسلام.

وقد ابتدأ المشار إليه في تحقيقه القهقرى من يوم كسوف الشمس عند وفاة إبراهيم ابن محمد عليه الصلاة والسلام في السنة العاشرة من الهجرة، والنبي صلى الله عليه وسلم في سن ثلاث وستين سنة كما في صحيح البخاري.

وعيّن أن الكسوف في تلك السنة كان في سلخ شوال واستمر على تتبعه الرجعي إلى أن وصل إلى نتيجة أنه صلى الله عليه وسلم يلزم أن يكون مولودا في اليوم التاسع من شهر ربيع الأول، لأنّ يوم الاثنين الذي كانوا اتفقوا عليه هو ذلك اليوم من الشهر المذكور عام الفيل الموافق ٢٠ إبريل سنة ٥٧١ م، وأجاد البحث في تحديد يوم ولادته صلى الله عليه وسلم بعد الاستعراض الشامل لأقوال الفلكيين من الشرق والغرب.

فلا معدلَ عن هذا القول لترجحه رواية، وتعيينه دراية؛ لأن التحقيق الرياضي لا يتخلف.

وقد ترجم أحمد زكي باشا تلك الرسالة إلى العربية باسم «نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام وفي تحقيق مولد النبي وعمره عليه الصلاة والسلام» سنة ١٣٠٥ هـ. وطبعت في تلك السنة بمصر. فجزاهما الله عن العلم خيرا.

وأما القول بأن مولده في اليوم العاشر من الشهر، فقد عزاه ابن سعد في طبقاته إلى محمد الباقر رضي الله عنه، لكن في سنده ثلاثة رجال متكلم فيهم.

وأما القول بأنه اليوم الثاني عشر من الشهر فقول محمد بن إسحاق، لكنّه غُفْلٌ من السند كما في مستدرك الحاكم، فيكون شأنه شأن الأقوال التي لا أسانيد لها.

لكن أغلب البلاد أخذ بهذا في الاحتفاء بمولده صلى الله عليه وسلم، ليكون في زمن كان بروزه لهذا العالم في مثله أمرا متفقا عليه عند الجميع.

وأما تأخره عن ذلك اليوم فوهم محض ممن ليس في العير ولا في النفير، ولم يعتد صاحب تلك الرسالة بروايات في وقوع ذلك الكسوف في أيام وشهور غير سلخ شوال لمنافاة ذلك لمسلمات الفن.

فإصرار ابن حجر على تجويز وقوعه في رابع الشهر أو عاشره أو الرابع عشر منه كما ورد في بعض الروايات وردّه على الفلكيين وضربه المثل بقول الشافعي في الأم من احتمال اجتماع العيد والكسوف، ناشئة من بُعده عن علم الفلك المأخوذ مما جرت عليه سنة الله في اختلاف الأيام والشهور والفصول بطريق جري العادة لا الإمكان العقلي، وقد أصاب البدر العيني في رده على الرواة في رواياتهم وقوع الكسوف في غير أيامه في جاري العادة، ولا عجب في أن يهم الثقة في شيء ليس في متناول علمه.

كما أنه لا عجب في اختلاف الرواة في تاريخ ميلاده صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ولد بين أمة أمية لا تحسب ولا تكتب ولا تؤرخ إلا بأحداث معروفة عندهم في مبدأ الأمر.

فلا محل في أن يعيبنا البرنس قيتانو [كيتانو] على هذا الاختلاف، مع سعيه في تكثير الروايات عن كل من هبّ ودبّ، في تاريخه الكبير عن الإسلام، متناسيا مبلغ الاختلاف العظيم «بالسنين لا بالأيام» الواقع في ميلاد عيسى عليه السلام، مما لا طريق معه إلى تحديد زمنه أصلا، لتباعد ما بين رواياتهم، من التفاوت الشاسع الذي لا جامع له، بخلاف ما هنا لأن تحديد زمن ولادة نبينا صلى الله عليه وسلم ثبت برواية راجحة أيدتها دراية ناجحة كما سبق.

والملك المعظم مظفر الدين كو كبوري «الذئب الأزرق» التركماني صاحب إربل -مبتكر ذلك

الاحتفال البالغ بمولد حضرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه المشروح في وفيات ابن خلكان «١-٤٣٦» وصف احتفاله وسعة أعطياته ونفقاته -كان يحتفل بالمولد الشريف في الليلة الثامنة من شهر ربيع الأول في عام، وفي الليلة الثانية عشرة منه في عام آخر عملا بالروايتين.

وقد ألف أهل العلم مؤلفاه كثيرة في الآثار الواردة في مولده عليه السلام، ومن أجمع الكتب المؤلفة في ذلك: »جامع الآثار في مولد النبي المختار» في ثلاثة مجلدات للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله.

وقد طرقتُ في هذا المقال مباحث تغني شهرتها عن ذكرها، لكن توالي عدم ذكر المشهور قد يؤدي إلى نسيانه عند الجمهور، وهذا مما لا يستساغ.

والحاصل بأن طرْقَ هذه المباحث إن لم يكن فيه تذكير ففيه استذكار، والله سبحانه ولي التسديد.

المقالة الثالثة : المولد النبوي والدعوة النبوية

من علم ما كانت طوائف البشر وصلت إليه من التدهور في أبواب الاعتقاد والعمل والخُلق قبل مولد المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، ثم لمح إلى ما تمّ بيده الكريمة من الإصلاح الشامل في تلك الأبواب في مدة يسيرة بعد قيامه بالدعوة إلى الله سبحانه: ازداد تيقنا بأن الله عز وجل ما أرسله إلا ليكون رحمة للعالمين حقا.

فها هي بيئته كانت متوغلة كل التوغل في جاهلية جهلاء ووثنية خرقاء تعبد ما تنحت، وتعتقد أن الملائكة بنات الله -تعالى عن ذلك-، ولا تترفع عن اتخاذ الغارات مصدر ارتزاق، ولا تستنكف من وأد البنات مخافة سبي أو خشية إملاق، ولا تأبى أن تبيح اجتماع رجال على امرأة فتعد ولدها ولدا شرعيا لمن يشبهه منهم. ويقول القائل في بني حنيفة إنهم اتخذوا في الجاهلية إلها من حيس فعبدوه دهرا ثم أكلوه في المجاعة، تعالى الله عما يفترون.

وحول تلك البيئة أمم يدينون بأديان محرفة مختلفة، فمنهم أمة تدين بالتثليث وتقول إن الثلاثة واحد، وإن ابن الله قتل ثم رفع إلى السماء وقعد في جنب أبيه. تعالى الله عما يختلقون، ويبيع لهم كهنتهم بقاعا من الجنة وهم لأربابهم مسخرون.

ومنهم من يعتقد أن الله شيخ أشمط، قاعد على كرسيه في السماء، وحوله الأملاك يهبط إلى الصخرة ويصعد منها إلى السماء، وقد استراح يوم السبت مستلقيا على ظهره رافعا إحدى رجليه على الأخرى لنصَب أصابه من خلق الكون، تعالى عما يأفكون!!

ومنهم الصابئة عبدة الأجرام العلوية كأصحاب الهياكل الذين يعتقدون أن الشمس إله كل إله، وكالحرانية الذين يرون أن الخالف واحد كثير، واحد في الأصل كثير بتكثر الأشخاص في رأي العين... فإنه يظهر بها ويتشخص بأشخاصها ولا تبطل وحدته وذلك بحلول ذاته أو جزء من ذاته فيها. تعالى عما يشركون.

ومنهم المجوس عبدة النار القائلون بخالقين اثنين: النور خالق الخير، والظلمة خالق الشر على اختلاف فرقهم بخلط وتخليط من مانوية وديصانية ومزدكية وغيرها يرون أن النور غير متناه إلا من جهة التحت حيث يلاقي الظلمة، وكان ماني رأس المانوية راهبًا بحرّان مزج النصرانية بالمجوسية، ورئيس المزدكية هو مزدك الداعي إلى الاشتراك في الأموال والأبضاع تأسيسا للإخاء الشامل بإزالة أسباب العداء في زعمه، وقد بلغت به الوقاحة إلى حد أن يطالب قباد الساساني بتسليم الملكة له

فانصاع له قباد الذي كان دان بدينه، لكن صعب ذلك على أنوشروان ابنه فانكب على رجلي مزدك يقبلهما ليعفي أمه من هذا فأعفاها، وبعد أن تولى الابن الملكَ أعمل في المزدكية السيف وقتل رئيسهم شر قتله.

ومزدك هذا هو السبب الأصلي لانهدام ذلك المجد الشامخ لآل ساسان وانهدام المجد نتيجة ضرورية للإباحة المطلقة حيثما حلت ولو بعد حين. ومِن معتقد المزدكية أن المعبود قاعد على كرسيه في العالم الأعلى على هيئة قعود الملك في العالم الأسفل.

ومن تلك الأمم الدهريون والطبعيون نفاة الصانع المحرومون من تعقّل الاستدلال بالأثر على المؤثر، وهذا منتهى البلاهة، وهم آفة الفضيلة في كل عصر، والمنـزلون للبشر منـزلة البقر في عدم التكليف.

ومنهم السمَنِيّة والبَراهمة القائلون بنفي ما وراء الحس والمنكرون للنبوة، وفلسفتهم أم الهوان والمذلة في كل دور.

هكذا كان الحجاز وما حوله إلى فلسطين والشام والعراق وبلاد الروم وأرض الفرس والهند وبلاد أفريقية وما والاها حين بعث خاتم رسل الله صلى الله عليه وسلم فأي منظر يكون أقتم وأظلم من هذا المنظر في تاريخ البشر.

ولا يخفى على البصير مصادر ما نستخفه من المزاعم الشائنة في بعض نحل اليوم من تلك المعتقدات الباطلة.

فقام هذا النبي الهاشمي الأبطحي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بالدعوة إلى الإسلام في تلك البيئة المحاطة بتلك الأمم يقيم الحجة لدعوته بحيث لا يدع عذرًا لمعاند، ويوقظ العقول إلى المعالي بطريقة لا تعلو على مدارك العامة ولا تستنكرها الخاصة، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل الطوائف بالتي هي أحسن حتى دانوا له تباعًا، فعلمهم ما يجوز اعتقاده في الله وما لا يجوز وفهمهم وجوب تنـزيه الله سبحانه عن مشابهة مخلوقاته ومماثلة مصنوعاته وفقّههم في أبواب العمل، ودربهم على الفضائل والسجايا الكريمة، واستنهض الجميع نحو رقي مستمر في العلوم والأعمال والأخلاق وما إليها استنهاضًا تدريجيًا بعيدًا عن الطفرة والمفاجأة، مستعملاً اللطف في محله والعنف في موضعه حتى خرقت دعوته ذلك النطاق وانتشر دين الإسلام في جميع الآفاق فدانت الأمم بنور هدايته في مشارق الأرض ومغاربها.

وأفاضت هذه الدعوة المباركة والنهضة الميمونة على العالمين ما لم يعهد له مثيل من الخيرات في أيسر مدة، فمن تأمل ذلك يزداد يقينًا ويجد في ثنايا تشريع هذا النبي العظيم معجزات تتجدد مدى الدهر، رغم انحراف المنحرفين عن هدية صلى الله عليه وسلم ورغم مسعى الفاتنين في هدّ كيان شرعه في الداخل والخارج.

وأمهات ما تلقت الأمة من النبي صلى الله عليه وسلم هي العلم بالله وصفاته وما إليها من المعتقدات المقصودة لذاتها، والعلم بالأحكام العملية من عبادات ومعاملات يدور عليها تهذيبهم النفسي وإقامة العدل بين الخليقة، والعلم بطرق اكتساب الملكات الفاضلة والتخلي عن الخلال الرديئة النفسية مما يرشد إلى وسائل تزكية النفوس وتصفية القلوب حتى تصدر منها الأعمال المسعدة في النشأتين سجية لا بتكلف فتتم لهم الكمالات العلمية والعملية. كما أشرت إلى ذلك كله عند تحدثي عن الحالة العامة عند البعثة النبوية في مقدمة «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر.

وكان السلف من الأمة المحمدية في غاية من الاعتصام بهذا الدين الحنيف ونهاية التوفيق في استثمار الخيرات منه في ساحات العلم والعمل والاعتزاز كما هو معلوم لمن استعرض آثارهم في فتح

البلاد وهداية العباد، ومدوناتهم الخالدة في العلوم تملأ خزانات العالم وتشهد لهم بكل فخر، بخلاف خلفهم الذين أضاعوا التراث، وبدأوا يندمجون في غير أمتهم فهانوا وذلوا حيث أعرضوا عن هذا الدين القويم والشرع الحكيم، فلا حول وإلا قوة إلا بالله فندعوه سبحانه أن يوقظنا من غفوتنا ويلهمنا رشدنا، وهو المجيب لمن دعاه.

المقالة الرابعة :المولد النبوي الشريف

ذكرى ولادة فخر رسل الله صلوات الله وسلامه عليه تجعلنا نشعر بما أغدق الله سبحانه بمولده وبعثته صلى الله عليه وسلم على البشر كافة من تمهيد السبيل للتخلص مما هم فيه من الضلال البعيد، وتعبيد الطريق للذين اتبعوه إلى سعادة ليس بعدها سعادة.

وشهر ربيع الأول هو رمز ذلك اليوم المسعود، فترى المسلمين طول هذا الشهر المبارك مستمرين على الاحتفاء بمولده صلى الله عليه وسلم عرفانًا منهم لما فاض من طلعته الميمونة من إنارة الطريق وإزالة الظلمات المتراكمة من عهد الجاهلية في شتى النواحي، وإبطال الباطل في معتقدات الوثنيين والمجوس واليهود والنصارى والصابئين من إشراك وتشبيه وقول بالحلول، ونحو ذلك من المخازي المشروحة في كتب الملل والنحل وتاريخ الأديان، فكلما استذكر الإنسان ما كان عليه طوائف البشر من الزيغ والضلال المبين عند بعثته صلى الله عليه وسلم وما وصل إليه متابعوه من السعادة الباهرة في مدة يسيرة يجد في ذلك أكبر معجزة تدل على عظمة هذا الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه، ويستيقن أنه لا سعادة ولا نهوض ولا عزة في آخر الزمن أيضا إلا باتباعه عليه السلام في جميع النواحي العلمية والعملية والخلقية.

واستنهاضُ الهمم في هذا السبيل إنما يكون بتذكار هديه صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه رضي الله عنهم في شؤون الدنيا والدين لنأتسي بهم في ذلك حتى نسعد سعادة طيبة مباركة.

والعادة المتبعة في البلاد الإسلامية الاحتفاء بالمولد الشريف في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول لأن ولادته لم تتأخر عن هذا التاريخ عند الجميع فيحتفون به في ليلة لا يبقى أي خلاف يُعتدّ به بعدها في كونه عليه السلام مولودًا قبل ذلك الزمن.

ولا يستغرب الخلاف في مولده صلوات الله وسلامه عليه لأنه ولد بين أمة أمية لا تكتب ولا تحسب ولا تؤرخ إلا بأحداث معروفة عندهم.

وقد اتفق جمهرة النَقَلة على أنه ولد في عام الفيل وأن ولادته كانت في يوم الاثنين وفي شهر ربيع الأول، ثم اختلفوا في أن ولادته كانت بعد انقضاء ثمانية أيام من الشهر أو في العاشر منه أو الثاني عشر، والأول جزم به ابن دِحْية الحافظ حتى قال: هو الذي لا يصح غيره وعليه أجمع أهل التاريخ كما في السيرة الحلبية، والثاني عزاه ابن سعد إلى محمد الباقر رضي الله عنه لكن في سنده ثلاثة رجال متكلم فيهم، والثالث أضعفها حيث ذكره ابن إسحاق من غير سند، وقد رأيت قول ابن دحية في الرواية الأولى وهي المتعينة في تحقيق محمود باشا الفلكي المصري في رسالته باللغة الفرنسية عن تقويم العرب قبل الإسلام، وقد ترجمها إلى اللغة العربية أحمد زكي باشا في رسالة سماها « نتائج الأفهام في تقويم العرب قبل الإسلام وفي تحقيق مولد النبي وعمره عليه الصلاة والسلام » وقد طبعت سنة ١٣٠٥هـ

وقد عمل فيها تحقيقًا رياضيًا لا يتخلف، مبتدئا من حديث أخرجه البخاري في كسوف الشمس في السنة العاشرة يوم وفاة إبراهيم ابن النبي عليه السلام يوم كان النبي صلى الله عليه وسلم ابن

ثلاث وستين سنة وحدّد وقت الكسوف بآخر شهر شوال من السنة المذكورة، وهَجَر الشهور التي وردت في بعض الروايات مما لم يقع فيه كسوف كما ردّ العيني الروايات عن وقوع الكسوف في أيام لا يقع فيها الكسوف عادة، ولا مانع من أن يهم الثقة في شيء ليس في تناول علمه، وإن أصر ابن حجر على تمشيته تلك الروايات لبعده عن العلوم الفلكية.

فعَمِل محمود باشا الفلكي المذكور تتبعًا قهقريًا من هذا المبدأ إلى أن أثبت أن يوم الاثنين كان اليوم التاسع من شهر ربيع الأول عام الفيل الموافق ٢٠ إبريل سنة ٥٧١م وأجاد هكذا البحث في تحديد يوم ولادته صلى الله عليه وسلم ببراهين رياضية لا تتخلف، بينما كان ميلاد عيسى عليه السلام غير قابل للتحديد من خلاف شديد متباعد بالسنين مما لا خِطام له ولا زمام.

وقول القائل في مولده عليه السلام: «في ثمانية خلت»: يدل على أنه لم يولد في الثامنة بل في التاسعة على هذه الرواية فتطابق هذه الرواية التي أيدها ابن دحية ذلك التحقيق الرياضي كما يتبين من الاطلاع على تلك الرسالة.

من وحي المولد

بقلم الشيخ عبد القادر جابر*

كما تشرق الشمس بأشعتها وكما يظهر القمر بأضوائه النيّرة على الوجود ، تشرق وتبدو أنت أيها اليوم وقد انبلجت أنوار الحق والحقيقة في جبينك ، وأشرقت أضواء المعارف والحقائق على غرتك ، وكما تبدو الشمس للوجود لتضيء للناس طرق العيش فيهتدوا إليه تبدو أيها اليوم للوجود لتضيء للناس طرق الحقيقة الإنسانية .

لقد تساميت أيها اليوم المبارك بأنوارك ، وعلوت بحقائقك كأنك تريد أن تجعل من نفسك قمرا في أفلاك الحقيقة الإلهية !!!

وغدوت تصوغ من نورك منهجا يسير عليه طلاب الإنسانية الوادعة ويمشي على منواله طلاب الحقيقة الصادقة

ولقد تجليت أيها اليوم على الكون بمظهر الإبداع فكان أن سحرْت أعين المتبصرين في حقيقتِكَ ثم لم تكتفِ بهذا حتى أبدعت في الحقيقة أسرارا وسحرت بها القلوب بعد سحر العيون !! وهذا نسيمك لم يكتف أن ينفذ إلى الصدور فيثلجها حتى نفذ إلى عواطفها فهيّجها فنطقت بالمكنون فيها ، فتلك هي البهجة ، وخفقان السرور ، ثم أباحت عن المودوع في طياتها فظهر على الوجوه المفرح وعلى الشفاه بَسمات الحُبور !!

ومالك أيها اليوم طغى نورك على نور الشمس والقمر حتى كأن النهار يضيء بك لابالشمس وكأن الليل تنجلي ظلماته وتنقشع خنادسه بك لابالقمر ، ومالك أيها اليوم أراك قد تزينت لقدومك وتزخرفت بالأزهار ومعاني الأزهار وحقائق الأزهار ووحي الأزهار ، ومالك أيها اليوم قد جعلت في جمال الأرض والطبيعة معنى السرور ، وجعلت في جوّ السماء معنى السعادة ... حقا إنك _ أيها اليوم _ لبهاء الكون وبهجته والله ..

لقد كنت صادقا مع القدر في بلوغك القمم والمعالي فكانت لنفسك من صدقك مزية على أترابك الأيام ... فقد كسوت الإنسانية ثوب العز والسؤدد بعد ثوب الذل والهوان كما يكسو

الإنسانية ثوب العز فارتسمت عليها أمارات الفخار كمايكسو الربيع الأرض ثوبها الإخضرار فترتسم عليها أمارات الجلال والجمال !!!

مالك أيها اليوم قد ظهرت فيك أنواع الحقائق الإنسانية الروحية ، فانطبعت على شغاف الفؤاد ، وارتسمت على سويداء الجنان ، ... كما ظهرت على الأرض في الربيع أنواع الزهور الربيعية فانطبعت على النفوس الشعرية ، لقد كنت أيها اليوم رمزا لولادة الروح الإنسانية ، ورمزا لتتميم الكمالات في هذا الوجود ... ثم مالك أيها اليوم تزايدت في إبداعك في الوجود حتى كأنك أنت الذي أبدعت الجمال في الطبيعة وتزايدت في فنونك حتى كأنك أنت المفتن في سحر الطبيعة !!!

لقد كنت حقا أيها اليوم ربيع الإنسانية وربيع البشرية ، ولقد كنت ربيع السؤدد والفخار والجلال وربيع المجد والعز والكمال ، فيا مرحبا بك أيها اليوم ، ويامرحبا بجلالك وجمالك الباهي ، ويامرحبا بنورك الساطع ، وضوئك اللامع

أما واللّه لقد كنت معجزة من معجزات الدهر
وستظل معجزة من معجزاته !!!!

أحداث المولد النبوي حتى زواجه بالسيدة خديجة

من كتاب الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري

الأسرة النبوية

تعرف أسرته صلى اللّه عليه وسلم بالأسرة الهاشمية نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف وإذن فلنذكر شيئا من أحوال هاشم ومن بعده.

١ - هاشم

ـ وقد تولى هاشم السقاية والرفادة من بني عبد مناف حين تصالح بنو عبد مناف وبنو عبد الدار على اقتسام المناصب فيما بينهما، وهاشم كان اسمه موسرا ذا شرف كبير، وهو أول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وكان اسمه عمرو فما سمي هاشما إلا لهشمه الخبز، وهو أول من سن الرحلتين لقريش، رحلة الشتاء والصيف، وفيه يقول الشاعر:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ... قوم بمكة مسنتين عجاف
سنت إليه الرحلتان كلاهما ... سفر الشتاء ورحلة الأصياف

ومن حديثه أنه خرج إلى الشام تاجرا، فلما قدم المدينة تزوج سلمى بنت عمرو أحد بني عدي بن النجار، وأقام عندها، ثم خرج إلى الشام وهي عند أهلها قد حملت بعبد المطلب فمات هاشم بغزة من أرض فلسطين، وولدت امرأته سلمى عبد المطلب سنة ٤٩٧ م، وسمته شيبة لشيبة كانت في رأسه ، وجعلت تربيه في بيت أبيها في يثرب، ولم يشعر به أحد من أسرته بمكة وكان لهاشم أربعة بنين وهم: أسد، وأبو صيفي، ونضلة، وعبد المطلب. وخمس بنات وهي: الشفاء، وخالدة، وضعيفة، ورقية، وجنة.

٢ - عبد المطلب

ـ قد علمنا ممّا سبق أن السقاية والرفادة بعد هاشم صارت إلى أخيه المطلب بن عبد مناف، وكان شريفا مطاعا ذا فضل في قومه، كانت قريش تسميه الفياض لسخائه، ولما صار شيبة عبد المطلب

وصيفا أو فوق ذلك سمع به المطلب. فرحل في طلبه، فلما رآه فاضت عيناه، وضمه، وأردفه على راحلته، فامتنع حتى تأذن له أمه، فسألها المطلب أن ترسله معه، فامتنعت فقال:

إنما يمضي إلى ملك أبيه، وإلى حرم الله، فأذنت له، فقدم به مكة مردفه على بعيره، فقال الناس: هذا عبد المطلب، فقال: ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم ... فأقام عنده حتى ترعرع، ثم إن المطلب هلك بردمان من أرض اليمن، فولى بعده عبد المطلب، فأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون لقومهم، وشرف في قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه، وعظم خطره فيهم .

ولما مات المطلب وثب نوفل على أركاح عبد المطلب فغصبه إياها، فسأل رجالا من قريش النصرة على عمه، فقالوا: لا ندخل بينك وبين عمك. فكتب إلى أخواله من بني النجار أبياتا يستنجدهم، وسار خاله أبو سعد بن عدي في ثمانين راكبا، حتى نزل بالأبطح من مكة، فتلقاه عبد المطلب، فقال: المنزل، يا خال! فقال: لا والله حتى ألقى نوفلا، ثم أقبل فوقف نوفل، وهو جالس في الحجر مع مشايخ قريش، فسل أبو سعد سيفه وقال:

ورب البيت لئن لم ترد على ابن أختي أركاحه لأمكنن منك هذا السيف، فقال: رددتها عليه، فأشهد عليه مشايخ قريش، ثم نزل على عبد المطلب، فأقام عنده ثلاثا، ثم اعتمر ورجع إلى المدينة، فلما جرى ذلك حالف نوفل بني عبد شمس بن عبد مناف على بني هاشم، ولما رأت خزاعة نصر بني النجار لعبد المطلب قالوا: نحن ولدناه كما ولدتموه، فنحن أحق بنصره وذلك أن أم عبد مناف منهم فدخلوا دار الندوة، وحالفوا بني هاشم على بني عبد شمس ونوفل، وهذا الحلف الذي صار سببا لفتح مكة كما سيأتي .

ومن أهم ما وقع لعبد المطلب من أمور البيت شيئان :

حفر بئر زمزم ووقعة الفيل.

وخلاصة الأول أنه أمر في المنام بحفر زمزم ووصف له موضعها، فقام يحفر، فوجد فيه الأشياء التي دفنها الجراهمة حين لجأوا إلى الجلاء، أي السيوف والدروع والغزالين من الذهب، فضرب الأسياف بابا للكعبة، وضرب في الباب الغزالين، وأقام سقاية زمزم للحجاج.

ولما بدت بئر زمزم نازعت قريش عبد المطلب، وقالوا له: أشركنا قال ما أنا بفاعل،

هذا أمر خصصت به، فلم يتركوه حتى خرجوا به للمحاكمة إلى كاهنة بني سعد، ولم يرجعوا حتى أراهم الله في الطريق ما دلهم على تخصيص عبد المطلب بزمزم، وحينئذ نذر عبد المطلب لئن آتاه الله عشرة أبناء، وبلغوا أن يمنعوه لينحرن أحدهم عند الكعبة.

وخلاصة الثاني أن أبرهة الصباح الحبشي، النائب العام عن النجاشي على اليمن، لما رأى العرب يحجون الكعبة بنى كنيسة كبيرة بصنعاء، وأراد أن يصرف حج العرب إليها، وسمع بذلك رجل من بني كنانة، فدخلها ليلا فلطخ قبلتها بالعذرة. ولما علم أبرهة بذلك ثار غيظه، وسار بجيش عرمرم عدده ستون ألف جندي إلى الكعبة ليهدمها، واختار لنفسه فيلا من أكبر الفيلة، وكان في الجيش ٩ فيلة أو ١٣ فيلا، وواصل سيره حتى بلغ المغمس، وهناك عبأ جيشه، وهيأ فيله، وتهيأ لدخول مكة، فلما كان في وادي محسر بين المزدلفة ومنى برك الفيل، ولم يقم ليقدم إلى الكعبة، وكانوا كلما وجهوه إلى الجنوب أو الشمال أو الشرق يقوم يهرول، وإذا صرفوه إلى الكعبة برك، فبينا هم كذلك إذ أرسل الله عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ، وكانت الطير أمثال الخطاطيف والبلسان، مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجر في منقاره، وحجران في رجليه أمثال الحمص، لا تصيب منهم أحدا إلا صار تتقطع أعضاؤه، وهلك، وليس كلهم أصابت، وخرجوا هاربين يموج بعضهم في بعض فتساقطوا بكل طريق، وهلكوا على كل منهل، وأما أبرهة فبعث الله

عليه داء تساقطت بسببه أنامله، ولم يصل إلى صنعاء، إلا وهو مثل الفرخ، وانصدع صدره عن قلبه ثم هلك.

وأما قريش فكانوا قد تفرقوا في الشعاب وتحرزوا في رؤوس الجبال، خوفا على أنفسهم من معرة الجيش، فلما نزل بالجيش ما نزل رجعوا إلى بيوتهم آمنين .

وكانت هذه الوقعة في شهر المحرم قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بخمسين يوما أو بخمسة وخمسين يوما- عند الأكثر- وهو يطابق أواخر فبراير أو أوائل مارس سنة ٥٧١ م، وكانت تقدمة قدمها الله لنبيه وبيته، لأنا حين ننظر إلى بيت المقدس نرى أن المشركين من أعداء الله تسلطوا على هذه القبلة، وأهلها مسلمون كما وقع لبختنصر سنة ٥٨٧ ق. م، والرومان سنة ٧٠ م، ولكن الكعبة لم يسيطر عليها النصارى- وهم المسلمون إذ ذاك- مع أن أهلها كانوا مشركين.

وقد وقعت هذه الوقعة في الظروف التي يبلغ نبأها إلى معظم المعمورة المتحضرة إذ ذاك، فالحبشة كانت لها صلة قوية بالرومان، والفرس لا يزالون لهم بالمرصاد، يترقبون ما نزل بالرومان وحلفائهم، ولذلك سرعان ما جاءت الفرس إلى اليمن بعد هذه الوقعة، وهاتان الدولتان كانتا تمثلان العالم المتحضر. فهذه الوقعة لفتت أنظار العالم ودلته على شرف بيت الله، وأنه هو الذي اصطفاه الله للتقديس، فإذن لو قام أحد من أهله بدعوى النبوّة كان ذلك هو عين ما تقتضيه هذه الوقعة، وكان تفسيرا للحكمة الخفية التي كانت في نصرة الله المشركين ضد أهل الإيمان بطريق يفوق عالم الأسباب.

وكان لعبد المطلب عشرة بنين، وهم: الحارث والزبير وأبو طالب، وعبد الله، وحمزة، وأبو لهب، والغيداق، والمقوم، وصفار، والعباس، وقيل: كانوا أحد عشر، فزادوا ولدا اسمه قثم، وقيل: كانوا ثلاثة عشر، فزادوا عبد الكعبة وحجلا، وقيل: إن عبد الكعبة هو المقوم، وحجلا هو الغيداق ولم يكن من أولاده رجل اسمه قثم، وأما البنات فست وهن:

أم الحكيم- وهي البيضاء- وبرة وعاتكة وصفية وأروى وأميمة .

٣ - عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم

- أمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة، وكان عبد الله أحسن أولاد عبد المطلب، وأعفهم وأحبهم إليه، وهو الذبيح، وذلك أن عبد المطلب لما تم أبناؤه عشرة، وعرف أنهم يمنعونه أخبرهم بنذره فأطاعوه، فكتب أسماءهم في القداح، وأعطاهم قيم هبل، فضرب القداح فخرج القدح على عبد الله، فأخذه عبد المطلب، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى الكعبة ليذبحه، فمنعته قريش ولا سيما أخواله من بني مخزوم وأخوه أبو طالب، فقال عبد المطلب: فكيف أصنع بنذري فأشاروا عليه أن يأتي عرافة فيستأمرها، فأتاها، فأمرت أن يضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الإبل، فإن خرجت على عبد الله يزيد عشرا من الإبل حتى يرضي ربه، فإن خرجت على الإبل نحرها، فرجع وأقرع بين عبد الله وبين عشر من الإبل فوقعت القرعة على عبد الله فلم يزل يزيد من الإبل عشرا عشرا ولا تقع القرعة إلا عليه إلى أن بلغت الإبل مائة فوقعت القرعة عليها، فنحرت عنه، ثم تركها عبد المطلب لا يرد عنها إنسانا ولا سبعا، وكانت الدية في قريش وفي العرب عشرا من الإبل، فجرت بعد هذه الوقعة مائة من الإبل، وأقرها الإسلام، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أنا ابن الذبيحين» يعني إسماعيل، وأباه عبد الله .

واختار عبد المطلب لولده عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، وهي يومئذ

تعد أفضل امرأة في قريش نسبا وموضعا، وأبوها سيد بني زهرة نسبا وشرفا، فبنى بها عبد الله في مكة، وبعد قليل أرسله عبد المطلب إلى المدينة يمتار لهم تمرا، فمات بها، وقيل: بل خرج تاجرا إلى الشام، فأقبل في عير قريش، فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي بها، ودفن في دار النابغة الجعدي، وله إذ ذاك خمس وعشرون سنة، وكانت وفاته قبل أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبه يقول أكثر المؤرخين، وقيل: بل توفي بعد مولده بشهرين . ولما بلغ نعيه إلى مكة رثته آمنة بأروع المراثي، قالت:

عفا جانب البطحاء من ابن هاشم ... وجاور لحدا خارجا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فأجابها ... وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره ... تعاوره أصحابه في التزاحم
فإن تك غالته المنايا وريبها ... فقد كان معطاء كثير التراحم

وجميع ما خلفه عبد الله خمسة أجمال، وقطعة غنم، وجارية حبشية اسمها بركة وكنيتها أم أيمن، وهي حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

المولد وأربعون عاما قبل النبوة وحتى زواجه بالسيدة خديجة

المولد

ولد سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم شعب بني هاشم بمكة في صبيحة يوم الإثنين التاسع من شهر ربيع الأول، لأول عام من حادثة الفيل، ولأربعين سنة خلت من ملك كسرى أنوشروان، ويوافق ذلك العشرين أو الثاني وعشرين من شهر أبريل سنة ٥٧١ م حسبما حققه العالم الكبير محمد سليمان المنصور فوري والمحقق الفلكي محمود باشا .

وروى ابن سعد أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: لما ولدته خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام، وروى أحمد عن العرباض بن سارية ما يقارب ذلك .

وقد روي أن إرهاصات بالبعثة وقعت عند الميلاد، فسقطت أربع عشرة شرفة من إيوان كسرى، وخمدت النار التي يعبدها المجوس، وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة بعد أن غاضت، روى ذلك البيهقي ولا يقره محمد الغزالي .

ولما ولدته أمه أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاء مستبشرا ودخل به الكعبة، ودعا الله وشكر له، واختار له اسم محمد- وهذا الإسم لم يكن معروفا في العرب- وختنه يوم سابعه كما كان العرب يفعلون .

وأول من أرضعته من المراضع- بعد أمه صلى الله عليه وسلم- ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابن لها يقال له مسروح، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي .

في بني سعد

وكانت العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم، ابتعادا لهم عن أمراض الحواضر؛ لتقوى أجسامهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم، فالتمس عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء، واسترضع له امرأة من بني سعد ابن بكر- وهي حليمة بنت

أبي ذؤيب وزوجها الحارث بن عبد العزى المكنى بأبي كبشة، من نفس القبيلة.
وإخوته صلى الله عليه وسلم هناك من الرضاعة عبد الله بن الحارث، وأنيسة بنت الحارث، وحذافة أو جذامة بنت الحارث (وهي الشيماء لقب غلب على اسمها) وكانت تحضن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وكان عمه حمزة بن عبد المطلب مسترضعا في بني سعد بن بكر، فأرضعت أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند أمه حليمة، فكان حمزة رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين، من جهة ثويبة، ومن جهة السعدية .
ورأت حليمة من بركته صلى الله عليه وسلم ما قصّت منه العجب، ولنتركها تروي ذلك مفصلا:
قال ابن إسحاق: كانت حليمة تحدث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه، في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء قالت: وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئا، قالت: فخرجت على أتان لي قمراء، معنا شارف لنا، والله ما تبض بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا، من بكائه من الجوع، ما في ثديي ما يغنيه، وما في شارفنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجو الغيث والفرج، فخرجت على أتاني تلك فلقد أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه، إذا قيل لها إنه يتيم، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم! وما عسى أن تصنع أمه وجده! فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيري، فلما أجمعنا الإنطلاق قلت لصاحبي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه. قال: لا عليك أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة.
قالت: فذهبت إليه، فأخذته، وما حملني على أخذه إلا أني لم أجد غيره، قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم نام، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى شارفنا تلك، فإذا هي حافل، فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا، فبتنا بخير ليلة، قالت: يقول صاحبي حين أصبحنا: تعلمي والله يا حليمة! لقد أخذت نسمة مباركة، قالت: فقلت: والله إني لأرجو ذلك، قالت: ثم خرجنا وركبت أنا أتاني، وحملته عليها معي، فو الله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حمرهم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب، ويحك! أربعي علينا، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله! إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها شأنا، قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لبنا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعا لبنا، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا، قالت: فقدمنا به على أمه ونحن أحرص على مكثه فينا، لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه، وقلت لها: لو تركت ابني عندي حتى يغلظ، فإني أخشى عليه وباء مكة، قالت: فلم نزل بها حتى ردته معنا .
وهكذا بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني سعد، حتى إذا كانت السنة الرابعة أو الخامسة من مولده وقع حادث شق صدره، روى مسلم عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده إلى مكانه،

وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ يعني ظئره ـ فقالوا: إن محمدا قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

إلى أمه الحنون

وخشيت عليه حليمة بعد هذه الوقعة حتى ردته إلى أمه، فكان عند أمه إلى أن بلغ ست سنين .

ورأت آمنة وفاء لذكرى زوجها الراحل أن تزور قبره بيثرب، فخرجت من مكة قاطعة رحلة تبلغ خمسمائة كيلو مترا، ومعها ولدها اليتيم محمد صلى الله عليه وسلم وخادمتها أم أيمن، وقيمها عبد المطلب، فمكثت شهرا، ثم قفلت: وبينما هي راجعة إذ يلاحقها المرض، ويلح عليها في أوائل الطريق، فماتت بالأبواء بين مكة والمدينة .

إلى جده العطوف

وعاد به عبد المطلب إلى مكة، وكانت مشاعر الحنو في فؤاده تربو نحو حفيده اليتيم، الذي أصيب بمصاب جديد نكأ الجروح القديمة، فرق عليه رقة لم يرقها على أحد من أولاده، فكان لا يدعه لوحدته المفروضة، بل يؤثره على أولاده، قال ابن هشام: كان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة، فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليه، لا يجلس عليه أحد من بنيه إجلالا له، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه، فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه، فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني هذا فو الله إن له لشأنا، ثم يجلس معه على فراشه، ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع .

ولثماني سنوات وشهرين وعشرة أيام من عمره صلى الله عليه وسلم توفي جده عبد المطلب بمكة، ورأى قبل وفاته أنه يعهد بكفالة حفيده إلى عمه أبي طالب شقيق أبيه .

إلى عمه الشفيق

ونهض أبو طالب بحق ابن أخيه على أكمل وجه، وضمه إلى ولده، وقدمه عليهم، واختصه بفضل احترام وتقدير، وظل فوق أربعين سنة يعز جانبه، ويبسط عليه حمايته، ويصادق و يخاصم من أجله، وستأتي نبذ من ذلك في مواضعها.

يستسقي الغمام بوجهه

أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب! أقحط الوادي، وأجدب العيال، فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام، كأنه شمس دجن، تجلت عنه سحابة قتماء، حوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب، فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ بإصبعه الغلام، وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا، وأغدق واغدودق، وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي، وإلى هذا أشار أبو طالب حين قال:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل .

بحيرا الراهب

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة قيل وشهرين وعشرة أيام - ارتحل به أبو طالب تاجرا إلى الشام، حتى وصل إلى بصرى- وهي معدودة من الشام وقصبة لحوران، وكانت في ذلك الوقت قصبة للبلاد العربية التي كانت تحت حكم الرومان- وكان في هذا البلد راهب عرف ببحيرا واسمه جرجيس فلما نزل الركب خرج إليهم، وأكرمهم بالضيافة، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته، فقال وهو آخذ بيده: هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال أبو طالب: وما علمك بذلك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخرّ ساجدا، ولا تسجد إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة في أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتبنا، وسأل أبا طالب أن يرده، ولا يقدم به إلى الشام، خوفا عليه من اليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة .

حرب الفجار

ولخمس عشرة من عمره صلى الله عليه وسلم كانت حرب الفجار بين قريش ومن معهم من كنانة وبين قيس عيلان، وكان قائد قريش وكنانة كلها حرب بن أمية لمكانته فيهم سنا وشرفا، وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة، حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس. وسميت بحرب الفجار لانتهاك حرمات الحرم والأشهر الحرم فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ينبل على عمومته، أي يجهز لهم النبل للرمي .

حلف الفضول

وعلى أثر هذه الحرب وقع حلف الفضول في ذي القعدة في شهر حرام، تداعت إليه قبائل من قريش: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي لسنه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، وشهد هذا الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة: لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعي به في الإسلام لأجبت» .

وهذا الحلف روحه تنافي الحمية الجاهلية التي كانت العصبية تثيرها، ويقال في سبب هذا الحلف إن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة، واشتراها منه العاص بن وائل السهمي، وحبس عنه حقه، فاستعدى عليه الأحلاف عبد الدار، ومخزوما، وجمحا، وسهما، وعديا، فلم يكترثوا له، فعلا جبل أبي قبيس، ونادى بأشعار يصف فيها ظلامته رافعا صوته، فمشى في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مترك؟ حتى اجتمع الذين مضى ذكرهم في حلف الفضول، فقاموا إلى العاص بن وائل فانتزعوا منه حق الزبيدي بعد ما أبرموا الحلف .

حياة الكدح

ولم يكن له صلى الله عليه وسلم عمل معين في أول شبابه، إلا أن الروايات توالت أنه كان يرعى غنما، رعاها في بني سعد ، وفي مكة لأهلها على قراريط وفي الخامسة والعشرين من سنة خرج تاجرا إلى الشام في مال خديجة رضي الله عنها، قال ابن إسحاق: كانت خديجة بنت خويلد امرأة

تاجرة ذات شرف ومال، تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوما تجارا فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال لها ميسرة، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام .

زواجه خديجة

ولما رجع إلى مكة، ورأت خديجة في مالها من الأمانة والبركة ما لم تر قبل هذا، وأخبرها غلامها ميسرة بما رأى فيه صلى الله عليه وسلم من خلال عذبة، وشمائل كريمة، وفكر راجح، ومنطق صادق، ونهج أمين. وجدت ضالتها المنشودة وكان السادات والرؤساء يحرصون على زواجها، فتأبى عليهم ذلك فتحدثت بما في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منية، وهذه ذهبت إليه صلى الله عليه وسلم تفاتحه أن يتزوج خديجة، فرضي بذلك، وكلم أعمامه، فذهبوا إلى عم خديجة، وخطبوها إليه، وعلى إثر ذلك تم الزواج، وحضر العقد بنو هاشم ورؤساء مضر، وذلك بعد رجوعه من الشام بشهرين، وأصدقها عشرين بكرة، وكانت سنها إذ ذاك أربعين سنة، وكانت يومئذ أفضل نساء قومها نسبا وثروة وعقلا، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت .

وكل أولاده صلى الله عليه وسلم منها سوى إبراهيم، ولدت له أولا القاسم وبه كان يكنى ثم زينب ورقية، وأم كلثوم وفاطمة وعبد الله، وكان عبد الله يلقب بالطيب والطاهر، ومات بنوه كلهم في صغرهم، أما البنات فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن، إلا أنهن أدركتهن الوفاة في حياته صلى الله عليه وسلم، سوى فاطمة رضي الله عنها فقد تأخرت بعده ستة أشهر، ثم لحقت به.

وصلى اللهم على سيدنا محمد النبي
الأمي وعلى آله وصحبه ووسلم
وآخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين
★★
★